الباب الثالث عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله شين

الشرك[1]

أصل الشرك إضافة الشيء إلى مثله ، ومنه قيل : شراكا النعل ، لأن كل واحد منها يشبه الآخر ، وشراك الطريق مشبه بشراك النعل ، وأشرك بالله عبد معه غيره ؛ لأنه أضافه إليه وشبهه به .

والشرك في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإشراك بالله في العبادة ، كقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء آية : ٤٨] ، وإن في موضع نصب .

والمعنى إن الله لا يغفر الشرك به إلا بالتوبة ؛ فحذف ذكر التوبة لدلالة العقل عليه ، ولشهادة السمع به ، وهو قوله : ﴿ إِلا مَنْ تَابَ ﴾ [سورة مريم آية : ٦٠ ، الفرقان : ٧٠] ، وقال : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء آية : ٤٨] ، يعني : أصحاب الصغائر ؛ لأن ما دون الشرك صغائر وكبائر فلو كانا جميعا مغفورين لم يكن لقوله : ﴿ لِمَنْ

---

(١) (ش ر ك) : (شَرِكَهُ) فِي كَذَا شِرْكًا وَشَرِكَةً وَبِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْهُ سُمِّيَ شَرِيكُ ابْنُ سَحْمَاءَ الَّذِي قَذَفَ بِهِ امْرَأَتَهُ هِلَالُ بن أُمَيَّةَ وَشَارَكَهُ فِيهِ وَاشْتَرَكُوا وَتَشَارَكُوا وَطَرِيقٌ مُشْتَرَكٌ (وَمِنْهُ الْأَجِيرُ الْمُشْتَرَكُ) وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَأَمَّا أَجِيرُ الْمُشْتَرَكِ عَلَى الْإِضَافَةِ فَلَا يَصِحُّ إلَّا عَلَى تَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ (وَالتَّشْرِيكُ) بَيْعُ بَعْضِ مَا اشْتَرَى بِمَا اشْتَرَاهُ بِهِ (وَالشِّرْكُ) النَّصِيبُ تَسْمِيَةً بِالْمَصْدَرِ (وَمِنْهُ) بِيعَ شِرْكٌ مِنْ دَارٍ وَأَمَّا فِي قَوْله تَعَالَى ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ فَاسْمٌ مِنْ أَشْرَكَ بِاَللَّهِ إذَا جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا وَفُسِّرَ بِالرِّيَاءِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكُ وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ ﴾ وَهِيَ أَنْ تَعْرِضَ لِلصَّائِمِ شَهْوَةٌ فَيُوَاقِعَهَا وَيَدَعَ صَوْمَهُ (وَشَرَّكَ النَّعْلَ) وَضَعَ عَلَيْهَا الشِّرَاكَ وَهُوَ سَيْرُهَا الَّذِي عَلَى ظَهْرِ الْقَدَمِ وَهُوَ مَثَلٌ فِي الْقِلَّةِ (وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ) ﴿ صَلَّى بِي النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الظُّهْرَ حِينَ صَارَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشِّرَاكِ ﴾ فَإِنَّهُ عَنَى بِهِ الْفَيْءَ الَّذِي يَصِيرُ فِي أَصْلِ الْحَائِطِ مِنْ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إذَا زَالَتْ الشَّمْسُ وَهَذَا أَقَلُّ مَا يُسْتَبَانُ بِهِ الزَّوَالُ لَا أَنَّهُ تَحْدِيدٌ لَهُ .[المغرب :الشين مع الراء]

يَشَاءُ﴾ فائدة ولا يجوز أن يكون ما دون الشرك لا يكون كفرا ، لأن الشرك والكفر في أسماء الدين واحد ، وكل كافر مشرك .

وقوله : ﴿إِنَهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَةَ﴾ [سورة المائدة آية : ٧٢] ، وقوله : ﴿أَن اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية : ٣] .

الثاني : قالوا : الشرك بمعنى الطاعة ، قال الله : ﴿إِنِي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٢] ، أي : أطعتموني .

وقيل : أراد أني كفرت اليوم بما أنتم في الدنيا تدعونه لي من الشرك لله ، وهو مثل قوله : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [سورة فاطر آية : ١٤] .

وقال الكلبي : هو على التقديم والتأخير ، أي : أني في دار الدنيا كفرت بربي الذي أشركتموني به .

وقال الحسن : إني كفرت بما جعلتموني إلها وما على التفسير مصدر ، أي : كفرت بإشراككم إياي بالله ، وقال أبو علي - رحمه الله - : أي : إني كفرت بما أشركتموني به بعد ذلك ، لأنه قد تقدمهم بالكفر .

الثالث : الربا على ما جاء في التفسير ، قال الله : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف آية : ١١٠] ، أي : لا يرائي فيما نفعل من العبادة .

وقيل أيضا : أنه أراد الإشراك بالله غيره ، وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ زَينَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٧] ، يعني : الشياطين المذكورين في قوله : ﴿وَجَعَلُوا لله شُرَكَاءَ الْجِن﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يزينون لهم ذلك بالوسوسة ، وقيل : هم رؤساء السوء ، وقيل : هم السدنة ، وقوله : ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، يعني : للأصنام وجعلها لهم شركاء ، لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها .

الشقاق

أصل الشقاق من قولهم : شققت الشيء إذا قطعته بنصفين فبعد أحدهما عن الآخر ، وكل قطعة منه شقة ، وسمي الثوب الطويل القليل العرض شقة كأنه من قلة عرضه قد شق من غيره ، وشقيق الرجل أخوه ؛ كأنه شق منه ، وسميت الأرض البعيدة شقة لطولها وتراخي بعضها عن بعض ، ومن ثم قيل للطويل أشق ، وشق الأمر على فلان طال حتى أتعبه ، وشاق فلان فلانا إذا عاداه وباعده ، والأصل في ذلك كله البعد .

والشقاق في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الضلال ، قال الله : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٦] ، ويجوز أن يكون أراد المجانبة والمباعدة ، أي : هم في بعد عن الحق وعن صاحب الحق شديد .

الثاني : الخلاف ، قال : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٥] ، جاء في التفسير أنه أراد الخلاف ، ويجوز أن يكون بمعنى الفرقة ، وهو أجود .

الثالث : العداوة ، قال : ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ ﴾ [سورة محمد آية : ٣٢] ، أي : عادوه ، قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الحشر آية : ٤] ، وقال : ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ﴾ [سورة هود آية : ٨٩] ، وهذه الألفاظ يقام بعضها مقام بعض في هذه الآيات ، وأصلها واحد ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير[1] .

---

(١) قال الزجاج : ﴿ شَاقُّوا ﴾ جانبوا ، وصاروا في شق غير شق المؤمنين ، والشق الجانب ﴿ وَشَاقُّوا الله ﴾ مجاز ، والمعنى : شاقوا أولياء الله ، ودين الله .

ثم قال : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الله وَرَسُولَهُ فَإِنَّ الله شَدِيدُ العقاب ﴾ يعني أن هذا الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء قليل مما أعده الله لهم من العقاب في القيامة ، والمقصود منه الزجر عن الكفر والتهديد عليه .[مفاتيح الغيب :٧/ ٣٧٦]

الشهادة[1]

الشهادة الإخبار عن معرفة تقوم مقام الرؤية ، والشاهد المخبر بها .

وهو في اللغة على وجوه :

أحدها : الحضور ، شهدته حضرته .

والآخر : الإعلام شهد الشهود ، وهو إعلام ما عندهم ، ومنه : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨] ، أراد تعريف عباده أنه لا إله إلا هو ، فقال : شهد بذلك لأن هذا القول أفخم وأوكد ومن الألفاظ ما هو أقوم فتفخم المعنى ألا ترى أن قولك : تضعضع ركن فلان أفخم من قولك : ضعف فلان ، ولذلك رغم أنف فلان أفخم من قولك : ذل فلان .

ومنه الإقرار ، وهو قوله : ﴿وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨] ، وقال : ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠] .

ومنه الحكم ، قال : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة يوسف آية : ٢٦] ، واليمين في قوله : ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾ [سورة النور آية : ٦] ، وأربع ، والرفع على خبر الابتداء ، أي : فشهادة أحدهم أربع ، والنصب على أن تشهد أحدهم أربع شهادات ، وهو أن تقول : أشهد بالله وأحلف بالله أني صادق فيما قذفتها به ، وتقول المرأة : أشهد بالله وأحلف بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفني به ، فإذا فعلا ذلك فرق بينهما ، ولا يحل له أبدا عند أكثر الفقهاء .

وقوله : ﴿يَأَيهَا الذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٦] ، قيل : أراد اليمين ، والصحيح أنه أراد أن أحدكم إذا حضره الموت وهو ضارب في الأرض ، أي : مسافر وأراد أن يوصي فينبغي أن يشهد على وصيته اثنين منكم ، أي : من المسلمين ، فإن لم

---

(١) الشهادة : هي في الشريعة : إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر . فالإخبارات ثلاثة : إما بحق للغير على آخر ، وهو الشهادة ، وإما بحق للمخبر على آخر ، وهو الدعوى ، أو بالعكس ، وهو الإقرار .[التعريفات :١/ ٤٢]

يجدها فمن أهل الذمة ، وهو قوله : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٦] ، فإن ارتبتم في شهادتهما فأقيموها بعد الصلاة ، أي : صلاة العصر ، وذلك لتعظيم أهل الذمة لهذا الوقت ، فيحلفان على صحة شهادتهما ، وقيل : أنها منسوخة بقوله : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة الطلاق آية : ٢] .

والشهداء في قوله : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] ، الكبراء الأعلام ، وقيل : الأصنام .

والشهيد في القرآن على ثمانية أوجه :

الأول : نبي كل أمة شهيد عليهم يوم القيامة ، قال : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [سورة النساء آية : ٤١] ، وقال : ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [سورة القصص آية : ٧٥] ، وقال : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] ، إلا أن هذا في الدنيا .

وفي هذا دليل على أن ذنوبهم بعلمهم ، وإلا فبأي شيء يشهد عليهم ، الأنبياء أتراهم يشهدون عليهم بأفعال الله ، وليس ذلك بمعقول .

الثاني : الحافظ ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة يونس آية : ٤٦] ، أي : حافظ له مجاز عليه .

ويجوز أن يكون العالم ومنه الشهادة في الحقوق ؛ لأنها لا تصح إلا مع العلم ، وهو قوله : ﴿وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [سورة النور آية : ٤] ، ثم قال : ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ، قالوا : فشهادتهم في كتاب الله مقبولة .

وعن شريح ، وابن المسيب ، وإبراهيم ، وسعيد بن جبير : أن شهادته غير مقبولة ، وإن تاب .

وعن عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، والشعبي ، والقاسم بن محمد ، وسالم ، والزهري : أنها مقبولة إذا تاب .

والصحيح أنها لا تقبل وإن تاب ؛ لأن حكم الاستثناء أن يكون راجعا إلى ما يليه ، ولا يرجع إلى ما تقدمه ، إلا بدلالة ، ألا ترى أن قائلا لو قال لفلان علي عشرة درهم إلا ثلاثة درهم إلا درهما كان عليه ثمانية درهم ، لأن الدرهم مستثنى من الثلاثة ، هذا أصل الاستثناء .

وقد جاء في القرآن مثنا ولا لجميع المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] ، إلى قوله : ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] ، فكان الاستثناء راجعا إلى جميع المذكور ، فيقول في ذلك أن الدلالة قد قامت في هذه الآية ، ولم تقم في الأول .

وقال الأوزاعي : لم تقبل شهادة محدود في قذف في الإسلام .

وقال أبو علي رحمه الله : تقبل شهادته إذا تاب ؛ لأنها إنما ترد عقوبة ، فإذا تاب سقطت العقوبة ، وقيل : ليس ذلك بشيء ؛ لأنه أيضا يحد عقوبة ، وإذا تاب لم يسقط الحد بالإجماع ، فكذلك الشهادة لا تقبل بالتوبة .

قلنا : وهذه المعارضة ليست بالصحيحة ؛ لأن الحد في القذف حتى لأدمي فلا يسقط بالتوبة وليست كذلك الشهادة .

وقال : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1] [سورة ق آية : ٢١] ، يعني : الملك الذي حفظ عليه عمله في الدنيا يشهد عليه في الآخرة .

ومثله : ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٩] ، يعني : الحفظة من الملائكة .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أي : جاءت كل نفس من النفوس معها من يسوقها ، ومن يشهد لها ، أو عليها .
واختلف في السائق والشهيد ، فقال الضحاك : السائق من الملائكة ، والشهيد من أنفسهم ، يعني : الأيدي والأرجل . وقال الحسن ، وقتادة : سائق يسوقها ، وشاهد يشهد عليها بعملها ، وقال ابن مسلم : السائق : قرينها من الشياطين ، سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها . وقال مجاهد : السائق والشهيد ملكان . وقيل : السائق : الملك ، والشهيد : العمل ، وقيل : السائق : كاتب السيئات ، والشهيد : كاتب الحسنات .[فتح القدير :٧/ ٣٠]

ومثله : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [سورة غافر آية : ٥١] ، يعني : الحفظة ، ويجوز أن يكون المعنى الذين يشهدون على الناس بأعمالهم من كل أمة .

والأشهاد جمع شهيد نادر وجاء في جميع بان أبناء ، وفي جميع جان أجناء ، فقيل في مثل أجناؤها أبناؤها ، وله حديث ذكرناه في كتاب "جامع الأمثال" .

الثالث : قوله : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله ، : ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، يعني : على أهل زمانه .

ولو كان شهيدا على غيرهم فمن جاء بعده لم يكن لقوله : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، أي : معرفين منبهين ، : ﴿ويكُون الرسُولُ عليكُمْ شهِيدًا﴾ [سورة البقرة آية : ١٤٣] ، أي : معرفا ومبينا ، كما قال : ﴿ويتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾ [سورة هود آية : ١٧] ، وكما قال : ﴿إِنا أرْسلْنا إِليْكُمْ رسُولا شاهِدًا عليْكُمْ﴾ [سورة المزمل آية : ١٥] ، والوجه أن يكون المراد الشهادة عليهم بأعمالهم .

الرابع : المستشهد في سبيل الله ، قال الله : ﴿والشهداءُ عِنْد ربهِمْ لهُمْ أجْرُهُمْ ونُورُهُمْ﴾ [سورة الحديد آية : ١٩] ، يعني : من قتل في سبيل الله وسمي شهيدا ، لأن الملائكة تشهده ، فعيل بمعنى مفعول ، ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى فاعل ، أي : شهد ما سره من الثواب والبشارة الحسنة .

الخامس : الذي يشهد على الحقوق ، وقال تعالى : ﴿مِمنْ ترْضوْن مِن الشهداءِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، والمرضي هو العدل ، وهذا موكول إلى الاجتهاد ؛ لأنه قد يجوز أن يكون المرضي عندك غير مرضي عند غيرك .

وقال أبو يوسف : إذا سلم من الفواحش وكان ما فيه من أخلاق البر أكثر عن المعاصي الصغار قبلت شهادته ؛ لأنه لا يسلم عبد من الذنب ، ومثله : ﴿واسْتشْهِدُوا شهِيديْنِ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : من أهل ملتكم .

وجواز شهادة أقل من رجلين أو رجل وامرأتين خطأ بدلالة هذه الآية ، ومن أجاز بتثبيت الحق بتميز الطالب وإشهاد شاهد واحد ؛ فإنه مبطل لظاهر هذه الآية .

والأمة مجمعة على أنها غير منسوخة ، وقوله : ﴿وأشْهِدُوا إذا تبايعْتُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، لفظ عام ، والمعنى خصوص ، أي : إذا خفتم رجوع أحد المبايعين عما عقد على نفسه ، فاشهدوا عليه بما عقد .

والكتاب والإشهاد واجبان عند تخوف الإضاعة ، وقوله : ﴿فإنْ أمِن بعْضُكُمْ بعْضًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] ، يشهد بصحة هذا التأويل ، وقال : ﴿وأشْهِدُوا ذويْ عدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة الطلاق آية : ٢] .

السادس : الحاضر ، قال تعالى : ﴿أنْعم اللهُ علي إذْ لمْ أكُنْ معهُمْ شهِيدًا﴾ [سورة النساء آية : ٧٢] ، وقال : ﴿وبنِين شُهُودًا﴾ [سورة المدثر آية : ١٣] ، أي : حضورا وقال : ﴿أمْ كُنْتُمْ شُهداء إذْ حضر يعْقُوب الْمَوْتُ﴾ [سورة البقرة آية : ١٣٣] ، أي : حضورا .

السابع : الأحكام والأعلام من الناس ؛ وهو قوله : ﴿وادْعُوا شُهداءكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣] وقد مر .

الثامن : الفطن الحاضر الذهن ؛ قال : ﴿أوْ ألْقى السمْع وهُو شهِيدٌ﴾ [سورة ق آية : ٣٧] وحقيقة إلقاء السمع الاستماع ؛ أي : استمع إليك وهو شهيد ؛ أي : قلبه شاهد عندك لا يغيب عنك فهمه ، وإذا كان كذلك انتفع بالخير الذي تدعوا إليه .

وأما قوله : ﴿قُلْ أي شيْءٍ أكْبرُ شهادةً قُلِ اللهُ شهِيدٌ بيْني وبيْنكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٩] فمجازه أي : شيء أكبر شهادة فيكون شاهد لي على دعائي إياكم ، وتكذيبكم لي قل الله شاهد لي على ذلك .

وفي هذا دليل على أن الله شيء ؛ ألا ترى أنه لا يجوز لك إذا قيل لك : أي : الناس أصدق ؟ أن تقول جبريل ؛ لأن جبريل ليس من الناس ، ولو لم يكن منفردا عند القائل والسامع أن الله شيء ؛ لكان هذا الكلام لغوا لا معنى له ؛ فإن قيل : ﴿أي : شيْءٍ أكْبرُ شهادةً﴾ تمام .

وقوله : ﴿ شهِيدٌ بيْني وبيْنكُمْ ﴾ ابتداء وليس بجواب ، ولو كان جوابا كان ما بعده من قوله : ﴿ شهِيدٌ بيْني وبيْنكُمْ ﴾ .

والشهادة في قوله : ﴿عالِمُ الْغيْبِ والشهادةِ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، بمعنى المشاهدة ، وأصل الكلمة الظهور ، ومنه قيل : شاهده ؛ أي : ظهر به ظهور المقابل بالشهادة ، ويشهد ذكر الشهادة وهو قول : أشهد أن لا إله إلا هو ، وتشاهدوا : تعاونوا على إقامة الشهادة .

وقال : ﴿ وشاهِدٍ ومشْهُودٍ ﴾ [سورة البروج آية : ٣] قيل : الشاهد : محمد صلوات الله عليه ، والمشهود : يوم القيامة ، والشهد : العسل على ما شوهد في موضعه قبل أن يصفى .

والشهادة في قوله تعالى : ﴿فمنْ شهِد مِنْكُمُ الشهْر فلْيصُمْهُ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] الحضور ؛ يعني : من كان حاضرا في أهله ، ومن شرائط ذلك الصحة ، والشاهد قوله تعالى : ﴿ومنْ كان مرِيضًا أوْ على سفرٍ فعِدةٌ مِنْ أيامٍ أُخر﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٥] .

الشيع

أصلها من العموم ، ومنه شاع الخبر ؛ إذا فشا فعرفه كل أحد ، ولك سهم شائع في الدار وشاع ؛ أي : هو في جميع الدار غير مشار إليه في موضع منها دون موضع[1] .

(١)الشين والياء والعين أصلان، يدلُّ أحدُهما على معاضدة ومساعفة، والآخر على بَثٍّ وإشادة.
فالأوّل: قولهم شَيَّعَ فلانٌ فلاناً عند شُخوصه.
ويقال آتِيكَ غداً أو شَيْعَه، أي اليوم الذي بعده، كأنَّ الثاني مُشَيِّع للأوّل في المضيّ.
وقال الشّاعر:
قال الخليطُ غداً تَصَدُّعُنا ** أو شَيْعَه أفلا تُوَدِّعُنا
وقال للشجاع : المشيَّع؛ كأنّه لقُوَّته قد قَوِي وشُيِّع بغيره، أو شُيِّع بقُوّة.
وزعم ناسٌ أنَّ الشَّيْعَ شِبل الأسد، ولم أسمعه من عالم سَماعاً.
ويقول ناس: إنَّ الشَّيْع المِقدار، في قولهم: أقام شهراً أو شَيْعَه.
والصَّحيح ما قلته، في أنَّ المشيّع هو الذي يُساعِد الآخَر ويقارنه.
والشِّيعة: الأعوان والأنصار.
وأما الآخر فقولهم : شاع الحديث، إذا ذاع وانتشر. ويقال شَيَّع الراعي إبِلَه، إذا صاح فيها.
والاسم الشِّيَاع: القصبة التي ينفُخ فيها الراعي. قال:
* حنينَ النِّيبِ تَطربُ للشِّياع *
ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع، إذا كان غير مقسوم.
وكأنَّ من لـه سهمٌ ونَصِيب انتشرَ في السَّهم حتَّى أخذه، كما يَشِيعُ الحديثُ في الناس فيأخذ سَمع كلِّ أحد.
ومن هذا الباب: شيَّعت النّارَ في الحطب، إذا ألهَبْتَها.
و شيع وشوع:
الشُّوعُ: شجرُ البانِ، الواحدة: شُوعةٌ. قال الطّرمّاح:
جَنَى ثَمَرٍ بالواديين وشُوعُ
فمن قال بفتح الواو وضمّ الشين: فالواو نسق، وشُوع: شجر البان، ومن قال: وُشُوع بضمّها، أراد: جماعة وَشْعٍ، وهو زهر البقول. والشَّيْعُ: مقدارٌ من العَدَد: أقمت شهراً أو شيْعَ شهرٍ، ومعه ألفُ رجلٍ، أو شَيْعُ ذاك.
والشَّيْعُ من أولاد الأسد.
وشاعَ الشّيءُ يَشِيعُ مَشاعاً وشَيْعُوعَةً فهو شائعٌ، إذا ظهر. وأشعْتُهُ وشعْتُ به: أذعته. وفي لغة: أشعت به.
ورجلٌ مِشياعٌ مِذياعٌ، وهو الذي لا يكْتُمُ شيئاً.
والمُشايَعةُ: متابعتُك إنساناً على أمرٍ.
وشَيَّعتُ النارَ في الحَطَبِ: أضرمتُه إضراماً شديداً، قال رؤبة:
شدّا كما يشيّع التَّضْرِيمُ
والشّياعُ: صوتُ قَصَبةِ الرّاعي. قال:

وشيعة الرجل ؛ من يعينه على أموره ، وشايعه ؛ إذا عاونه معاونة عامة ، وشيع الرجل ؛ الرجل إذا يسار معه كما يسير الخبر الشائع .

ويقال : هو شيعة لك ، وقيل : الشيعة مأخوذة من الشياع ؛ وهو الحطب الصغار التي تشعل بها النار ويعين الحطب الكبار على الاتقاد .

وقيل : أصل الكلمة من الاتباع ، ومنه شاعك ؛ أي : تبعك ، وشاعكم السلام ؛ أي : تبعكم .

والشيع في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الفرق المختلفة ؛ قال : ﴿إِن الذِين فرقُوا دِينهُمْ وكانُوا شِيعًا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٥٩] يعني : أنهم فارقوا الإسلام وصاروا فرقا يهودا ونصارى وجعل الإسلام دينهم ولم يدينوا به ؛ لأنهم بدلوا إليه وأمروا به .

ويجوز أن يكون معناه أنهم فارقوا دينهم حين اختلفوا فيه ، وذلك أن النصارى يكفر بعضهم بعضا وصاروا شعابا لاختلاف فيه .

حَنِين النِّيبِ تَطْرَبُ للشِّياعِ

وشيَّع الرّاعي في الشِّياع: نَفَخَ في القَصَبة.

ورجل مُشَيَّعُ القَلْبِ إذا كان شجاعاً، قد شُيِّع قلبه تشييعاً إذا ركب كلَّ هولٍ، قال سليمان:

مُشَيَّع القلبِ ما منْ شانِهِ الفَرَقُ

وقال الرّاجز:

والخزرجيُّ قلبُـــــه مُشَيَّعُ
ليس من الأمر الجليل يَفزَعُ

والشِّيعةُ: قوم يتشيّعون، أي: يهوون أهواء قوم ويتابعونهم. وشيعةُ الرّجلِ: أصحابه وأتباعه. وكلّ قومٍ اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة وأصنافهم: شِيَع. قال الله تعالى: " كما فَعَلَ بأشياعهم من قبل " . أي: بأمثالِهِمْ من الشِّيَع الماضية.

وشَيَّعْتَ فلاناً إذا خرجت معَه لتُودِّعَه وتُبلِغَه منزِلَهُ.

والشِّياعُ: دعاءُ الإبل إذا استأخرت. قال:

وألاّ تخلدَ الإبل الصّفايا ... ولا طول الإهابة والشِّياعِ

ينظر معجم مقاييس الغة والعين مادة (ش ي ع) .

وفي هذا نهي عن إحداث البدع في الدين ، ومفارقة جميع المسلمين ، ومثله : ﴿ مِن الذِين فرقُوا دِينهُمْ وكانُوا شِيعًا ﴾ [سورة الروم آية : ٣٢] ، وقال : ﴿ وجعل أهْلها شِيعًا ﴾ [سورة القصص آية : ٤] .

الثاني : قوله : ﴿ هذا مِنْ شِيعتِهِ وهذا مِنْ عدُوهِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٥] يعني : أنه ولد ابنه إسرائيل ولم يكن من القبط .

الثالث : أهل دين ؛ قال الله : ﴿ ولقدْ أهْلكْنا أشْياعكُمْ ﴾ [سورة القمر آية : ٥١] أي : من كان على دينكم ، وقال : ﴿ كما فُعِل بِأشْياعِهِمْ مِنْ قبْلُ ﴾ [سورة سبأ آية : ٥٤] ، وقال : ﴿ ثُم لننْزِعن مِنْ كُل شِيعةٍ ﴾ [سورة مريم آية : ٦٩] أي : من كل أهل دين باطل ، وقال تعالى : ﴿ وإِن مِنْ شِيعتِهِ لإِبْراهِيم ﴾ [سورة الصافات آية : ٨٣] أي : من أهل دينه .

الرابع : اختلاف الآراء وتغاير الأهواء ، قال الله : ﴿ هُو الْقادِرُ على أنْ يبْعث عليكُمْ عذابًا مِنْ فوْقِكُمْ أوْ مِنْ تحْتِ أرْجُلِكُمْ أوْ يلْبِسكُمْ شِيعًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٥] يوعدهم بالعذاب من فوقهم وهو الطوفان ، أو من تحت أرجلهم الخسف ، أو يلبسهم شيعا أي : يخذلهم ويخليهم من ألطافه وفوائده كل ذلك بذنوبهم فيلتبس عند ذلك أمرهم ويختلفوا حتى يذوق بعضهم بأس بعض .

الباب الرابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله صاد

الصدق[1]

أصل الصدق من الثبات ، ومنه قيل : صدقهم القتال ؛ إذا ثبت لهم ، وتمر صادق الحلاوة يرجع إلى هذا .

والصدق خلاف الكذب ؛ لأنه يثبت ، والكذب يبطل ، والصداقة : ثبات المودة ، ثم صار الصداقة اسما لاتفاق الضمائر على المودة ؛ فإذا أضمر كل واحد من المتعاشرين مودة صاحبه ؛ فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين .

ولهذا لا يجوز أن يقال : أن الله صديق المؤمن ، كما يقال : أنه وليه ، ولا يجوز أن يكون المؤمن صديقه كما أنه خليله وحبيبه ووليه ، ومعنى الولي أنه يحب الخير لوليه ، كما أن العدو يحب الضر لعدوه ، ويقول الله : ﴿ وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٦٨] بمعنى أنه يتولى حفظهم وكفايتهم ، كما أن ولي الطفل هو المتولي لشأنه والمتكفل لمعونته ، ومعنى محبة العبد لله ؛ إرادة طاعته ، ومحبة الله للعبد إرادة ثوابه .

ومعنى الخلة الاختصاص ، فقيل : أن إبراهيم خليل الله لاختصاص الله إياه بالرسالة ، ولا يجوز أن الله خليل له ؛ لأنه لا يجوز أن يخص الله بشيء غير العبادة ، والخلق في عبادة الله سواء ليس لأحد فيها خصوصية .

---

(١)(ص د ق) : صَدَقَ صِدْقًا خِلَافُ كَذَبَ فَهُوَ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ مُبَالَغَةٌ وَصَدَقْتُهُ فِي الْقَوْلِ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى وَصَدَّقْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ نَسَبْتُهُ إلَى الصِّدْقِ وَصَدَّقْتُهُ قُلْتُ لَهُ صَدَقْتَ وَصِدَاقُ الْمَرْأَةِ فِيهِ لُغَاتٌ أَكْثَرُهَا فَتْحُ الصَّادِ وَالثَّانِيَةُ كَسْرُهَا وَالْجَمْعُ صُدُقٌ بِضَمَّتَيْنِ وَالثَّالِثَةُ لُغَةُ الْحِجَازِ صَدُقَةٌ وَتُجْمَعُ صَدُقَاتٍ عَلَى لَفْظِهَا .
وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ ﴾ وَالرَّابِعَةُ لُغَةُ تَمِيمٍ صُدْقَةٌ وَالْجَمْعُ صُدُقَاتٌ مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرُفَاتٍ فِي وُجُوهِهَا وَصَدْقَةٌ لُغَةٌ خَامِسَةٌ وَجَمْعُهَا صُدَقٌ مِثْلُ قَرْيَةٍ وَقُرًى .[المصباح المنير :الصاد مع الدال]

والوجه الأجود في أصل الصدق والصداقة وما في بابه أن يقال : أن أصل الكلمة الكمال ، فقيل : الصدق لكماله في الحسن ، وصادق الحلاوة كامل الحلاوة ، والصداقة كمال المودة بحمل جميع في هذا الباب على هذا الوجه فيصح .

والصادقون في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النبيون ؛ قال الله : ﴿لِيَسْأَلَ الصادِقِين عنْ صِدْقِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٨] فأخبر أنه يسأل الأنبياء ليكون غيرهم على حذر .

الثاني : المهاجرون ؛ قال تعالى : ﴿وينْصُرُون الله ورسُولهُ أُولئِك هُمُ الصادِقُون﴾ [سورة الحشر آية : ٨] جاء في التفسير أنه أراد المهاجرين خاصة ؛ لأن الآية نزلت فيهم ، وذكر بعدهم الأنصار .

الثالث : المؤمنون جميعا ؛ قال الله : ﴿لِيجْزِي اللهُ الصادِقِين بِصِدْقِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٢٤] يعني : المؤمنين ؛ لأن الآية نزلت فيهم .

الصف

أصله في اللغة الامتداد والطول ؛ ومنه قيل : صفة البيت ؛ لأنها ممدودة طويلة ، وصف الطائر : جناحيه إذا مدهما في طيرانه ، وصفة السرج : ما غشي به ما بين القربوسين والسرحين وهما جانبا الرحل ، والصفيف من اللحم : ما شرح طولا وخفف في الشمس .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : بمعنى الجميع ؛ قال الله : ﴿ وعُرِضُوا على ربك صفا ﴾[1] [سورة الكهف آية : ٤٨] ، وقوله : ﴿ ثُم ائتُوا صفا ﴾ [سورة طه آية : ٦٤] أي : جمعا ، وقيل : ذكر الواحد وأراد الجمع ؛ أي : عرضوا صفوفا ، وقيل : صفا ؛ أي : قياما ، وذلك أن القائم يصف قدميه في القيام وهو أجود .

الثاني : الصف الممدود ، قال تعالى : ﴿ الله يُحِب الذِين يُقاتِلُون فِي سبِيلِهِ صفا ﴾ [سورة الصف آية : ٤] ، وقال : ﴿ والصافاتِ صفا ﴾ [سورة الصافات آية : ١] يعني : صفوفا ملائكة في السماء مصلين ومسبحين .

---

(١) قال الرازي : لما ذكر الله تعالى حشر الخلق ذكر كيفية عرضهم ، فقال : ﴿ وَعُرِضُواْ على رَبِّكَ صَفًّا ﴾ وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : في تفسير الصف وجوه . أحدها : أنه تعرض الخلق كلهم على الله صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً ، قال القفال : ويشبه أن يكون الصف راجعاً إلى الظهور والبروز ، ومنه اشتق الصفصف للصحراء . وثانيها : لا يبعد أن يكون الخلق صفوفاً يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض ، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله صفاً صفوفاً كقوله : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [غافر : ٦٧] أي أطفالاً . وثالثها : صفاً أي قياماً ، كما قال تعالى : ﴿ فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافَّ ﴾ [الحج : ٣٦] قالوا قياماً .

المسألة الثانية : قالت المشبهة قوله تعالى : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ والملك صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر : ٢٢] يدل على أنه تعالى يحضر في ذلك المكان وتعرض عليه أهل القيامة صفاً ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾ يدل على أنه تعالى يحضر في ذلك المكان ، وأجيب عنه بأنه تعالى جعل وقوفهم في الموضع الذي يسألهم فيه عن أعمالهم ويحاسبهم عليها عرضاً عليه ، لا على أنه تعالى يحضر في مكان وعرضوا عليه ليراهم بعد أن لم يكن يراهم .[مفاتيح الغيب :١٠/ ٢١٦]

والمعنى ورب الصافات ، وأنث على معنى الجماعة للصافة ، ثم جمع فقال : ﴿الصافاتِ﴾ ، فأما قوله : ﴿فاذْكُرُوا اسْم الله عليْها صواف﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] فالمراد به أنها قائمة قد صفت بدنها ، ولم يرد أنها مصطفة لإجماع الناس أنها يجوز نحرها غير مصطفة .

فأما السنة في نحر الإبل أن تنحر قائمة ، وفي قوله : ﴿فإذا وجبتْ جُنُوبُها﴾ [سورة الحج آية : ٣٦] ما يدل على أنه أراد بالصواف القيام ؛ لأنها إذا كانت باركة فنحرت فانقلبت على جنب ، لم يقل : أنها سقطت لجنبها .

الصيحة(١)

فعلة من صاح يصيح ، ويستعمل في جميع الحيوان ، وجاء في غير ذلك أيضا ، قال الشاعر :

تَصِيحُ الرُّدْينيَّاتُ فِينَا وفِيهِم صِيَاحَ بَنَاتِ المَاءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعَا

والصيحة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : صيحة جبريل صلى الله عليه ؛ قال الله : ﴿فأَخذتْهُمُ الصيْحةُ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٤١ ، الحجر : ٧٣ ، ٨٣] في مواضع من القرآن .

الثاني : النفخة الأولى لفناء الخلق ؛ قال الله : ﴿إنْ كانتْ إلا صيْحةً واحِدةً فإذا هُمْ خامِدُون﴾ [سورة يس آية : ٢٩] ، ومثله : ﴿ما ينْظُرُون إلا صيْحةً واحِدةً﴾ [سورة يس آية : ٤٩] .

الثالث : النفخة الثانية لقيام الساعة ؛ قال الله : ﴿إنْ كانتْ إلا صيْحةً واحِدةً فإذا هُمْ جمِيعٌ لديْنا مُحْضرُون﴾ [سورة يس آية : ٥٣] ، ونحوه : ﴿فإنما هِي زجْرةٌ واحِدةٌ فإذا هُمْ ينْظُرُون﴾ [سورة الصافات آية : ١٩] ولم يقل : ما ينظرون ليكون أعظم في الإخبار ، كما يقول : لو رأيت عليا بين الصفين ، ومثله : ﴿يوْم يسْمعُون الصيْحة بِالْحق﴾ [سورة ق آية : ٤٢] .

(١) (ص ي ح) : صَاحَ بِالشَّيْءِ يَصِيحُ بِهِ صَيْحَةً وَصِيَاحًا صَرَخَ .[المصباح المنير :الصاد مع الياء]

الصاعقة(١)

هي ما كثف من البروق وعظم ، وأصلها من شدة الضرب ، يقال : صقعه إذا ضربه ضربا شديدا ، وأكثر ما يستعمل في الضرب على الرأس فقلب ، فقيل : صاعقة ، وربما قيل : صاقعة على الأصل ، وصعق الرجل ؛ إذا سمع صوتا شديدا فغشي عليه وهو صعق ، وفي القرآن : ﴿ وخر مُوسى صعِقًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٣] ، وصعق الرجل بالفتح ؛ إذا صاح ، ويجوز أن تكون الصاعقة من هذا .

والصاعقة في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : شدة الصوت ، قال : ﴿ فأخذتْهُمُ الصاعِقةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥٣] وكانوا سمعوا صوت تدكدك الجبل ؛ فماتوا موتا لم يضطروا معه إلى معرفة البارئ ؛ ولهذا أجاز أن يكلفهم بعده لأن التكليف مع وقوع العلم ضرورة لا يصح من أجل أن العالم ضرورة ملجأ إلى فعل الطاعات ، والتكليف لا يكون إلا مع الاختيار وإلا فإنه ليس بتكليف .

الثاني : العذاب ، قال : ﴿ فقُلْ أنْذرْتُكُمْ صاعِقةً مِثْل صاعِقةِ عادٍ وثمُود ﴾ [سورة فصلت آية : ١٣] .

الثالث : الموت قال : ﴿ فصعِق منْ فِي السمواتِ ومنْ فِي الأرْضِ إلا منْ شاء اللهُ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٨] أي : ماتوا ، وقيل : معنى ذلك أنهم يغشى عليهم ثم يموتون .

---

(١) [صعق] : الصُّعَاقُ : الصَّوت الشَّديد للثَّور والحمارِ ، صَعَقَ صُعاقاً ، قال رؤبة :

صَعِقٌ ذِبَّانُه في غَيْطلِ

أي يموت الذباب من شدَّةِ نَهيقه إذا دنا منه . قال رؤبةُ يصف حماراً وأتانه :

يَنْصاعُ من حيلةِ ضمٍّ مُدْهَقِ
إذا تتلاَّهُنَّ صَلْصَالُ الصَّعَقْ

وحِمارٌ صَعْقُ الصَّوْتِ أي شديدُه . والصعَّاقُ : الشَّديدُ الصَّوْتِ . والصَّاعِقَةُ : صيحةُ العَذَابِ . والصَّاعِقَةُ : الوَقْعُ الشَّديدُ من صوْتِ الرَّعْدِ ، يسقُطُ معه قِطْعة من نار يقال : إنها من صَوْت الملك ، ويجمع صَواعِق . والصَّعِقُ : المغْشِيُّ عليه . صُعِق صَعْاقاً : غُشِي عليه من صَوْتٍ يسمعه أو حِسٍّ أو نحوه . وصعِق صعَقاً : مات .[العين :العين والقاف والصاد]

الصلاح[1]

الصلاح نفع يلتئم به الأمور ، والإصلاح تقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر ؛ والفساد ضر تضطرب به الأمور ، والإفساد تقويم العمل على ما يضر بدلا مما ينفع .

وأما القبح فهو المنكر في النفس من جهة زجر العقل ، والفرق بين فساد التفاحة بتعينها وفساد الإنسان بخطيئته ؛ أن أحدهما تزجر عنه الحكمة ، والآخر لا تزجر عنه على أنه قد حدث ما ينافي في المنفعة به .

والصلاح في القرآن على سبعة أوجه قالوا :

الأول : الإيمان ؛ قال الله عز وجل : ﴿ جناتُ عدْنٍ يدْخُلُونها ومنْ صلح مِنْ آبائِهِمْ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٣] ، قال : ﴿ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وإِمائِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] ، يعني : المؤمنين ، وقال تعالى : ﴿ وأدْخِلْنِي بِرحْمتِك فِي عِبادِك الصالِحِين ﴾ [سورة النمل آية : ١٩] .

الثاني : المنزلة الرضية ؛ قال الله : ﴿ وتكُونُوا مِنْ بعْدِهِ قوْمًا صالِحِين ﴾ [سورة يوسف آية : ٩] ، قال بعض أهل التفسير : تصلح منزلتنا عند أبينا ، ومثله : ﴿ وإِنهُ فِي الآخِرةِ لمِن ألصالِحِين ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٢] ، أي : في المنزلة الرضية عند الله . ويجوز أن يكون المراد إنا نتوب فيما بعد ونكون من الصلحاء ، وقيل : الصلاح في قوله : ﴿ والصالِحِين مِنْ عِبادِكُمْ وإِمائِكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] ، العفة وليس أن من لم تكن عفيفة لا تزوج ؛ وإنما أراد الحث على الصلاح .

---

(١) (ص ل ح) : (الصَّلَاحُ) خِلَافُ الْفَسَادِ وَصَلَحَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ طَلَبَ وَقَدْ جَاءَ فِي بَابِ قَرُبَ صَلَاحًا وَصُلُوحًا وَأَصْلَحَهُ غَيْرُهُ (وَمِنْهُ) عِلْكٌ مُصْلَحٌ أَيْ مَعْمُولٌ مَعْجُونٌ وَالْجِيمُ خَطَأٌ وَإِنَّمَا عُدِّيَ بِإِلَى فِي قَوْلِهِ دَابَّةٌ أَنْفَقَ عَلَيْهَا وَأَصْلَحَ إلَيْهَا عَلَى تَضْمِينِ مَعْنَى أَحْسَنَ (وَالصُّلْحُ) اسْمٌ بِمَعْنَى الْمُصَالَحَةِ وَالتَّصَالُحِ خِلَافُ الْمُخَاصَمَةِ وَالتَّخَاصُمِ وَقَوْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ صُلْحٌ لَرَدَدْتُهُ أَيْ مُصَالَحٌ فِيهِ أَوْ مَأْخُوذٌ بِطَرِيقِ الصُّلْحِ وَلَا صُلْحَ فِي (ع م) (وَقَوْلُهُ) كَانَتْ تُسْتَرُ صُلْحًا فِي ت س (وَقَوْلُهُ) فَإِنَّ اصْطِلَاحَ ذَلِكَ وَدَوَاءَهُ عَلَى الْمُرْتَهِنِ الصَّوَابُ فَإِنَّ إصْلَاحَ ذَلِكَ .[المغرب :الصاد مع اللام]

وظاهر هذا الأمر الوجوب ؛ وهو ندب بالإجماع ، ولم يخل عصر من الأعصار من الأيامي من الرجال والنساء ، ولم يذكر أحد أن ترك تزويجهن محظور .

وأيضا فإن الأيم إذا لم ترد التزويج لم يكن للولي إجبارها ، وأيضا فإن الرجل لا يجبر على تزويج عبده وأمته وهو معطوف على الأيامي .

قال أبو علي رحمه الله : هو في الأيم إذا أرادت التزويج على الوجوب ، وفي العبد والأمة ترغيب ، قال : ويجوز أن يكون المعنى ترغيب الأحرار أن يتزوجوا الإماء الصالحات ، وترغيب الحرائر أن يتزوجوا العبيد الصالحين .

الثالث : الرفق على قولهم ؛ قال تعالى : ﴿ ستجِدُنِي إِنْ شاء اللهُ مِن الصالِحِين ﴾ [سورة القصص آية : ٢٧] ، أي : ممن يرفق ولا يخرق ، قال : ومثله : ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٢] .

وليس هذا بالوجه ؛ وإنما أراد ضد الفساد ، والشاهد : ﴿ وَلا تَتبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤٢] ، ويجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصالِحِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٧] أي : أصلح لك في أمورك ، وإني أفي لك ولا أخونك فأفسد أمرك .

الرابع : تسوية الخلق ؛ قال الله : ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَن مِنَ الشاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٨٩] أي : ولدا سويا ، ويجوز أن يكون أراد صلاح الطريقة .

الخامس : ضد الفساد ؛ قال : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [سورة هود آية : ٨٨] ، وقال : ﴿ قَالُوا إِنَمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١] أي : لأمور أنفسنا فيما نولي الكافرين ؛ لأنهم إذا ظهروا أبقوا علينا ، والدليل على صحة هذا التأويل أنه قرنه بالفساد ، وقال : ﴿ أَلا إِنهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢] .

السادس : الطاعة ؛ قال : ﴿ وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ ﴾ يعني : الطاعات .

السابع : الأمانة ؛ قال الله : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [سورة الكهف آية : ٨٢] قالوا : يعني : ذا أمانة ، ويجوز أن يكون معناه صلاح الطريقة في الدين ، ويرجع معناه إلى الطاعة ، وفلان صالح في نفسه ؛ إذا أتى بمحاسن الأفعال ، وفاسد في نفسه ؛ إذا أتى بمقابحها .

الصراط[1]

هو في العربية الطريق الواضح السهل ، يذكر ويؤنث ، مثل : الطريق ، والسبيل ولم نسمع له بجمع ، والقياس : أصرطة ، وسرط ، وأصل الصاد فيه سين ؛ من قولهم : سرطت الطعام ؛ إذا أسرعت بلعه ، وذلك أن السراط : ممر الحلق ، والمسرط : البلعوم ؛ لسرعة مرور الطعام فيه .

وسمي الفالوذ سرطراطا ؛ لسرعته وسهولته في الحلق ، وسيف سراطي سريع القطع ، سمي الطريق القاصد السهل سراطا ؛ لسرعة المشاة فيه ؛ لسهولته لا يمنعه من ذلك شيء ، وجعل السين صادا لموافقة الصاد الطاء .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الطريق ؛ قال الله : ﴿ وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٦] ، ومثله : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٣] .

الثاني : الدين ؛ قال الله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٦] يعني : الدين المستقيم ؛ فجعله صراطا على التمثيل ، ومثله : ﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٦] .

والمستقيم : القاصد ، والاستقامة : الاستمرار في جهة واحدة ؛ فإذا كان في الدين فالاستمرار على طريق الحق .

---

(١) الفرق بين الصراط والطريق السبيل : أن الصراط هو الطريق السهل قال الشاعر :

خشونا أرضهم بالخيل حتى *** تركناهم أذل من الصراط

وهو من الذل خلاف الصعوبة وليس من الذل خلاف العز ، والطريق لا يقتضي السهولة ، والسبيل إسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع عليه الطريق تقول سبيل الله وطريق الله وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل به ويراد به سبيل ما يقصده فيضاف إلى القاصد ويراد به القصد وهو كالمحبة في بابه والطريق كالارادة .[الفروق اللغوية :١/ ٣١٣]

وقال بعضهم : الصراط : الطريق المستقيم ، والذي يفيده الصراط هو السهولة على ما ذكرنا ، والذي يدل على ذلك أصل الكلمة وما يتصرف منها ، مثل : السرطراط وسرطته ؛ إذا أسرعت بلعه لسهولته .

الصلاة[1]

أصلها الدعاء ؛ صليت إذا دعوت ، قال الشاعر :

وَقَابَلَهَا الريحُ فِي دنِّهَــــــا وَصَلَّـ ـى عَلَـى دنِّهَـا وَارتَسَـــــــم

وسميت الصلاة لما فيها من الدعاء ، والصلاة على الجنازة ؛ لأنها دعاء لا سجود فيه ولا ركوع ، وقيل : أصلها اللزوم ، ومن قيل : ﴿تَصْلَى نَارًا﴾ [سورة الغاشية آية : ٤] أي : يلزمها .

واستعمل في القرآن على خمسة أوجه زعموا :

الأول : الدعاء ؛ قال الله : ﴿إِن صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٣] أي : ادع لهم إن دعائك مما يسكنهم وتطمئن إليهم قلوبهم ، وقيل : معناه استغفر لهم ، ومعناهما قريب .

والثاني : الترحم : قال بعضهم : قوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٣] أي : ترحم عليهم أنهم يسكنون إلى ذلك ، قال الأعشى :

(١) (ص ل و) : (الصَّلَاةُ) فَعَالَةٌ مِنْ صَلَّى كَالزَّكَاةِ مِنْ زَكَّى وَاشْتِقَاقُهَا مِنْ الصَّلَا وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَلْيَتَانِ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يُحَرِّكُ صَلَوَيْهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَقِيلَ لِلثَّانِي مِنْ خَيْلِ السِّبَاقِ الْمُصَلِّي لِأَنَّ رَأْسَهُ يَلِي صَلَوَيْ السَّابِقِ (وَمِنْهُ) ﴿سَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ وَثَلَّثَ عُمَرُ﴾ وَسُمِّيَ الدُّعَاءُ صَلَاةً لِأَنَّهُ مِنْهَا (وَمِنْهُ) ﴿وَإِذَا كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ﴾ أَيْ فَلْيَدْعُ وَقَالَ الْأَعْشَى لِابْنَتِهِ عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْت فَاغْتَمِضِي نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعًا يَعْنِي : قَوْلَهَا يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا لِأَنَّهُ دُعَاءٌ لَهُ مِنْهَا وَقَالَ أَيْضًا وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ أَيْ اسْتَقْبَلَ بِالْخَمْرِ الرِّيحَ وَدَعَا وَارْتَسَمَ مِنْ الرَّوْسَمِ وَهُوَ الْخَاتَمُ يَعْنِي : خَتَمَهَا ثُمَّ سُمِّيَ بِهَا الرَّحْمَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ لِأَنَّهَا مِنْ لَوَازِمِ الدَّاعِي (وَالْمُصَلَّى) مَوْضِعُ الصَّلَاةِ أَوْ الدُّعَاءِ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِكَايَةً عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ﴿قَسَمْتُ الصَّلَاةَ﴾ يَعْنِي سُورَةَ الصَّلَاةِ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ لِأَنَّهَا بِقِرَاءَتِهَا تَكُونُ فَاضِلَةً أَوْ مُجْزِئَةً (وَقَوْلُهُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُسَامَةَ ﴿الصَّلَاةُ أَمَامَكَ﴾ أَيْ وَقْتُ الصَّلَاةِ أَوْ مَوْضِعُهَا يَعْنِي بِهَا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ (وَقَوْلُ) عَبِيدُ فُلَانٍ يُصَلُّونَ أَيْ هُمْ بَالِغُونَ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَقْرِعَ بَيْنَ مَنْ صَلَّى مِنْ رَقِيقِهِ حِينَ أَعْتَقَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَيْ مَنْ بَلَغَ وَأَدْرَكَ الصَّلَاةَ صَلَّى (الصَّلَاءَةُ) الْحَجَرُ يُسْحَقُ عَلَيْهِ الطِّيبُ وَغَيْرُهُ (وَمِنْهَا) أَخْرَجَ جُرْصُنًا أَوْ صَلَايَةً أَيْ حَجَرًا (وَقَوْلُهُ) فِي الْوَاقِعَاتِ حَدَّادٌ ضَرَبَ حَدِيدَةً بِمِطْرَقَةٍ عَلَى صَلَايَةٍ يَعْنِي السِّنْدَانَ وَهَذَا وَهْمٌ (وَالصَّلَى) بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ أَوْ بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ النَّارُ .[المغرب :الصاد مع اللام]

عَلَيكَ مِثلُ الّذِي صَلّيتَ فَاعتَصِمِي

رفع مثل على الدّعاء دعا لها مثل الذي دعوت له ، ونصبه على الأمر ؛ أي : تزداد من الدعاء ، أي : عليك بمثل ما قلت ، وقال تعالى : ﴿إِن اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلونَ عَلَى النبِي﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٦] .

[الثاني : الرحمة] ؛ قال : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥٧] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى "(١) أي : ارحمهم ، وهذا والأول واحد لأن الترحم دعاء ، ولا شك أن الله يرحم نبيه .

والفائدة في الترحم عليه ما يستحق المترحم من الثواب ، فإذا جدد الله تعالى لنبيه تكريما عند دعاء الداعي ؛ قيل : إن الله أجاب دعائه وفي الإجابة تكريم المجاب .

والدعاء ليس بواجب في العقول ؛ وإنما أوجبه القرآن لأن العاقل يعلم أن الله لا يختار له إلا الأصلح في دينه ودنياه . فيجوز أن ينصرف عن الدعاء تفويضا لأمره إلى الله ، والله لا يمنع العبد ما فيه صلاحه ؛ ولكنه أمره بالدعاء تعريضا للإجابة لما فيها من إكرام المجاب .

ويجوز أن يكون أمره بالدعاء ؛ لأن الذي يطلبه لا يكون مصلحة له إلا بالدعاء .

الثالث : الصلاة المعروفة ؛ قال : ﴿أَقِمِ الصلاةَ لِدُلُوكِ الشمْسِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٨] ، وقيل : دلوكها : غروبها ، وقيل : زوالها .

الرابع : قوله : ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [سورة هود آية : ٨٧] قال المفسرون : أراد قراءتك والمشهور الصلاة المعروفة .

وقالوا له ذلك لما أنكروا ما يدعوهم إليه من مخالفة دينهم ، كما تقول للرجل الصالح : تنكر منه أمرا أورعك أو صلاحك أمرك بهذا وأنت تريد نهيه عن ذلك وإنكاره عليه .

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى أخرجه البخاري (١٤٩٨) ، (٤١٦٦) ، (٦٣٣٢) ، (٦٣٥٩) ، وأخرجه مسلم (١٠٧٩) ، والنسائي (٢٤٥٩) ، وأبو داود (١٥٩٠) ، وابن ماجه (١٧٩٦) .

الخامس : المغفرة ؛ قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٣] يعني بأنه يغفر لكم إذا تبتم إليه ، ويستغفر لكم ملائكته ، وهذا الوجه قريب من الوجه الثاني ؛ لأن الرحمة والمغفرة يتقاربان .

الصوم(١)

أصله الإمساك ، ومصام الشيء مكانه ، قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا   بِأَمْرِ أَسرِ كِتَّانٍ الصَّائِمِ جَنْدَلِ

والخيل الصائمة : الممسكة عن الحملة ، وقد صام النهار عبد قائم الظهيرة ؛ كأن الشمس تسكن عند ذلك فلا تسير .

والصوم في القرآن على وجهين :

الأول : الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح مع النية ، وهو قوله : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٤] وفي هذه الآية دليل على أن هذه الآية منسوخة لأنه لا يجوز أن تقول في هذا الوقت أن الصيام في شهر رمضان خير من الإفطار فيه .

الثاني : الصمت ؛ قال الله : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [سورة مريم آية : ٢٦] أي : صمتا ، ويسمى الصمت صوما لأنه إمساك عن الكلام ، ومن قال : أن الصوم ليس بمعنى ؛

---

(١) (ص و م) : (الصَّوْمُ) فِي اللُّغَةِ تَرْكُ الْإِنْسَانِ الْأَكْلَ وَإِمْسَاكُهُ عَنْهُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمَخْصُوصَةِ يُقَالُ صَامَ صَوْمًا وَصِيَامًا فَهُوَ صَائِمٌ وَهُمْ صُوَّمٌ وَصُيَّمٌ وَصِيَامٌ وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنَّا نَصْنَعُ شَرَابًا فِي صَوْمِنَا أَيْ فِي زَمَنِ صَوْمِنَا وَمِنْ مَجَازِهِ صَامَ الْفَرَسُ عَلَى آرِيِّهِ إذَا لَمْ يَكُنْ يَعْتَلِفْ (وَمِنْهُ) قَوْلُ النَّابِغَةِ خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ وَقَوْلُ الْآخَرِ وَالْبَكَرَاتُ شَرُّهُنَّ الصَّائِمَةُ يَعْنِي : الَّتِي سَكَنَتْ فَلَا تَدُورُ وَهِيَ جَمْعُ بَكَرَةِ الْبِئْرِ (وَصَامَ) سَكَتَ (وَمَاءٌ) (صَائِمٌ) وَقَائِمٌ وَدَائِمٌ سَاكِنٌ وَصَامَ النَّهَارُ إذَا قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ [المغرب :الصاد مع الواو] .

و الصاد والواو والميم أصلٌ يدلُّ على إِمساكٍ وركودٍ في مكان. من ذلك صَوم الصَّائم، هو إمساكُهُ عن مَطعَمه ومَشربه وسائرِ ما مُنِعَهُ. ويكون الإمساك عن الكلام صوماً، قالوا في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحمنِ صَوْماً﴾ [مريم ٢٦]، إنَّه الإمساكُ عن الكلام والصَّمتُ. وأمَّا الرُّكود فيقال للقائم صائم، قال النابغة:

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ *** تحتَ العَجَاج وخيلٌ تَعلُك اللُّجُما

والصَّوم: رُكود الرِّيح. والصَّوم: استواء الشَّمس انتصافَ النَّهار، كأنَّها ركدت عند تدويمها ، وكذا يقال صامَ النَّهارُ.

قال امرؤ القيس:

* إذا صامَ النَّهارُ وهَجَّرَا *

ومَصَامُ الفَرَسِ: موقِفه، وكذلك مَصَامَتُه. قال الشَّماخ:

* إذا ما استافَ منها مَصَامَةً *

فقد قال : أن الله فرض ما ليس بشيء ، وأن النية والعزم يصح ما ليس بشيء ، والنهي نحو عن ترك ما ليس بشيء ، وتوطين النفس يكون لا على شيء وليس هذا بمعقول ، وقد يكون صوم أعظم من صوم ، وهذا يوجب على قوله : أن يكون لا شيء أعظم من لا شيء .

الباب الخامس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ضاد

الضحى[1]

مؤنثة وأصلها من البروز ، ويقال مكان ضاح ؛ أي : بارز ، وضواحي المدينة : ظواهرها ، وضحى الرجل يضحي إذا برز للشمس ، وفي القرآن : ﴿لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ [سورة طه آية : ١١٩] والأضحية ترجع إلى هذا ، وذلك أنهم كانوا يذبحونها في الضحى ، والضحا بالمد بعد الضحى .

والضحى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : النهار كله ؛ قال : ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٨] جاء في التفسير أنه بمعنى النهار جمع قلنا ، وذلك أنه جعله بإزاء البيات ، والبيات يكون في جميع الليل ، ولا يحسن في نظم الكلام أن يجعل الضحى التي هي أول النهار إزاء الليل كله .

الثاني : إذا ترجل النهار ؛ قال الله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [سورة النازعات آية : ٤٦] .

الثالث : حر الشمس ؛ قال الله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [سورة الشمس آية : ١] قالوا يعني : حرها ، ويجوز أن يكون الوقت ونسبه إلى الشمس ؛ لأن الأوقات تعرف بمسير الشمس .

---

(١)ضحو : الضَّحْوُ : ارتفاعُ النّهار ، والضُّحى : فويق ذلك ، والضّحاء - ممدود - إذا امتدّ النّهار ، وكَرَب أن ينتصف . وضَحِيَ الرّجلُ ضَحًى : أصابه حرُّ الشّمس . قال الله تعالى : " لا تَظْمأ فيها ولا تَضْحَى " ، أي : لا يؤذيك حرُّ الشّمس . وقد تُسَمَّى الشّمس : الضّحاء - ممدود - . وتقول : اضْحَ ، أي : ابرُزْ للشمس . ضحا يضحو ضُحُوًا وضَحِيَ يَضْحَى ضَحًى وضُحِيّاً . [العين :ضحو] .

الضرب[1]

أصله الثبات ، ومن ثم قيل : ضرب علي فلان البعث أي : ألزمه وأثبت عليه حكمه ومنه قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلةُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٦١] .

ويخبر عن الإلزام بالضرب ؛ لأن الضرب تأثيرا ليس إلا إلزاما ؛ فلما أراد أنهم ألزموا ذلة تبقى أثرها كبقاء أثر الضرب ، عدل عن ذكر الإلزام إلى ذكر الضرب ، وقيل : المعنى أن الذلة أحاطت بهم من قولك : ضربت الخيمة على القوم ، ونحوه قوله :

ضَرَبتْ عَلَيكَ العَنكَبوتُ بِنَسجِهَا ... وَقَضَى عَلَيكَ بِهَا الكِتَابُ المُنَزَّلُ

ومنه المضرب لأنه تضرب أوتاده في الأرض فتثبت ، ويقال للجليد : الضريب ؛ لأنه يثبت أكثر مما يثبت الثلج ولا يثبت ولا يجري .

واستضرب العسل إذا غلظ تشبيها بالجليد ، وضريبة الإنسان : خليقته لأنها ثابتة له لا يكاد يزول عنها ، والضرب في الأرض المسير فيها ؛ وهذا خلاف الثبات ، والمضارب مشتق من الضرب في الأرض .

والضرب العسل الأبيض الغليظ ، والضريب ضرب من اللبن ، والضرب من الشيء : الصنف منه .

والضرب في القرآن على ثلاث أوجه :

الأول : الضرب في الأرض ؛ قال الله : ﴿ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٤] ، وقال معاوية لبعض رؤساء اليمن : ما قول قومك في : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سورة

---

(١)(ض ر ب) : ضَرَبَهُ بِسَيْفٍ أَوْ غَيْرِهِ وَضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ سَافَرْتُ وَفِي السَّيْرِ أَسْرَعْتُ وَضَرَبْتُ مَعَ الْقَوْمِ بِسَهْمٍ سَاهَمْتُهُمْ وَضَرَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ حَجَرْتُ عَلَيْهِ أَوْ أَفْسَدْتُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا وَصَفَهُ وَبَيَّنَهُ وَضَرَبَ عَلَى آذَانِهِمْ بَعَثَ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ فَنَامُوا وَلَمْ يَسْتَيْقِظُوا وَضَرَبَ النَّوْمُ عَلَى أُذُنِهِ وَضَرَبْتُ عَنْ الْأَمْرِ وَأَضْرَبْتُ بِالْأَلِفِ أَيْضًا أَعْرَضْتُ تَرْكًا أَوْ إِهْمَالًا وَضَرَبْتُ عَلَيْهِ خَرَاجًا إِذَا جَعَلْتَهُ وَظِيفَةً وَالِاسْمُ الضَّرِيبَةُ وَالْجَمْعُ ضَرَائِبُ وَضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَضَرَّبْتُ الْأَعْنَاقَ وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ قَالَ أَبُو زَيْدٍ لَيْسَ فِي الْوَاحِدِ إِلَّا التَّخْفِيفُ وَأَمَّا الْجَمْعُ فَفِيهِ الْوَجْهَانِ قَالَ وَهَذَا قَوْلُ الْعَرَبِ وَضَرَبْتُ أَجَلًا بَيَّنْتُهُ وَجَمِيعُ الثُّلَاثِيِّ وَزْنٌ وَاحِدٌ وَالْمَصْدَرُ الضَّرْبُ وَضَرَبَ الْفَحْلُ النَّاقَةَ ضِرَابًا بِالْكَسْرِ وَضَرَبَ الْجُرْحُ ضَرَبَانًا اشْتَدَّ وَجَعُهُ وَلَذَعَهُ . [المصباح المنير :الضاد والراء] .

سبأ آية : ١٩] قال : أرادوا بعد الهمة والضرب في الأرض ؛ ولكن ما قول قومك في : ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] هلا قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندنا فاهدنا له ؟ ومثله : ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [سورة المزمل آية : ٢٠] فوضع التاجر مع المجاهد ، وفي ذلك بيان عن فضل التجارة .

الثاني : الضرب باليد والسيف وغيره ؛ قال : ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[1] [سورة محمد آية : ٤] وسمي ضربا لأن أثره يثبت في المضروب ، ونصب ضرب الرقاب على المصدر .

والمراد فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم ؛ ولكن أكثر القتل ضرب الرقبة ، فأخرج الكلام على الأكثر ، ولم يرد أن هذا الضرب مقصور على الرقبة .

والشاهد قوله : ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] ، وقال : ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] يعني : اضربوا الرؤوس ، واضربوا منهم كل بنان ؛ لأنه قال : إنكم تتمكنون منهم أشد تمكن ؛ فاضربوا الجليل من أبدانهم والدقيق .

وقيل : ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٢] أي : ما بدا منها وهو على ما قلنا أنه أراد أن اقتلوهم .

الثالث : التبين والوصف ؛ قال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٤] أي : وصف شبها وبينه .

---

(١) قال الرازي : ما الحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الأعضاء نقول فيه : لما بيّن أن المؤمن ليس يدافع إنما هو دافع ، وذلك أن من يدفع الصائل لا ينبغي أن يقصد أولاً مقتله بل يتدرج ويضرب على غير المقتل ، فإن اندفع فذاك ولا يترقى إلى درجة الإهلاك ، فقال تعالى ليس المقصود إلا دفعهم عن وجه الأرض ، وتطهير الأرض منهم ، وكيف لا والأرض لكم مسجد ، والمشركون نجس ، والمسجد يطهر من النجاسة ، فإذاً ينبغي أن يكون قصدكم أولاً إلى قتلهم بخلاف دفع الصائل ، والرقبة أظهر المقاتل لأن قطع الحلقوم والأوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيأ ذلك ، والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ، ولا سيما في الحرب . [مفاتيح الغيب :١٤/ ٧٩] .

وقال : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لله الأَمْثَالَ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٤] قالوا : معناه لا تصفوا بصفات غيره ولا تشبهوه بسواه .

وضارب المثل كأنه ينصب شبها لما يريد أن يعرفك إياه فتنظر إليه وهو راجع إلى الإثبات .

ويجوز أن يقال : ضرب المثل أي : جعله يسير فيكون من الضرب في الأرض ، وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا قَرْيَةً ﴾ [سورة النحل آية : ١١٢] أي : وصف له شبها ومثله كثير .

وأما قوله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِن عَلَى جُيُوبِهِن ﴾ [سورة النور آية : ٣١] فإنما أراد إلقاء الثوب على الصدر ليستتر به ، والجيب جيب الدرع ، وكن يلبسن الدروع ، ولدرع جيب مثل جيب الدراعة ، والمرأة فيها مكشوفة الصدر فأمر بستره ؛ وفيه دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة .

الضر[1]

الضر ضد النفع ، و الضر : الهزال وسوء الحال ، وكذلك الضراء ، وقيل : الضر والضر لغتان وليس بالوجه .

وذكر أن الضر أبلغ من الضر ؛ لأنه عدل عن صيغة المصدر للمبالغة وهذا أجود ، وأصل الكلمة الدنو ، ومعنى قولهم : ضره ؛ إذا لحق به المكروه ، وإذا لحقه به فقد أدناه منه ، وسحاب مضر إذا دنا من الأرض لكثرة مائه ، قال الشاعر :

غَوَاشِي مُضر تَحْتَ ريحٍ وَوَابِلِ

وسميت الضرة ضرة ؛ لأنها أدنيت من مثلها ، والضرة أصل الضرع لقربها من البدن .

والضر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشدة وسوء الحال ؛ قال : ﴿وَإِذَا مَس الإِنْسَانَ الضر دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾ [سورة يونس آية : ١٢] والفرق بين المس واللمس ؛ أن المس يكون من الحجارة وما بسبيل ذلك ، يقول : مس الحجر الحجر ، واللمس لا يكون إلا لطلب معرفة اللين ، أو الخشونة ، والحرارة ، والبرودة فهو مستعمل في الإنسان .

الثاني : الهول ، قال الله : ﴿وَإِذَا مَسكُمُ الضر فِي الْبَحْرِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٦] يعني : الهول ، ويجوز أن يكون المعنى جميع ما يدخل عليهم من الضرر عند الضلال .

الثالث : النقص ؛ قال الله : ﴿لَنْ يَضُروا اللهَ شَيْئًا﴾ [سورة محمد آية : ٣٢ ، آل عمران : ١٧٦ - ١٧٧] أي : لا ينقصونه من ملكه شيئا معاصيهم .

---

(١) الضَّرُّ والضُّرُّ لغتانِ ، فاذا جَمَعْتَ بين الضَرِّ والنَّفعِ فتَحْتَ الضّادَ ، وإذا أفرَدْتَ الضُّرَّ ضَمَمْتَ الضاد إذا لم تجعله مصدراً ، كقولك ضَرَرْتُ ضُرّاً ، هكذا يستعمله العَرَبُ . وقال الله تعالى : " واذا مَسَّ الانسانَ الضُّرُّ دعانا لِجَنْبِه " .
والضَّرَرُ : النُّقصان يدخُلُ في الشيء ، تقول : دَخَلَ عليه ضَرَرٌ في ماله . ورجلٌ ضَريرٌ : بيِّنُ الضَّرارة ، وقَومٌ أضِرّاء : ذاهبو البَصَر . ورجلٌ ضَريرٌ وامرأةٌ ضَريرةٌ : أضَرَّه المَرَضُ ، والضريرُ : المريضُ ، والمرأةُ بالهاء . [العين :٢/ ١٦] .

وأما الضراء فقد جاءت بمعنى القحط والجدب ، في قوله : ﴿ أَذَقْنَا النَاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَتْهُمْ ﴾ [سورة يونس آية : ٢١] أي : خصبا وسعة بعد قحط وشدة .

والفرق بين الضر والضراء ؛ أن الضراء مضرة تظهر ، ويجوز أن يكون الضر خافيا ، والضراء خرجت مخرج الأحوال الظاهرة ؛ مثل : الحمراء ، والسوداء .

وكذلك الفرق بين النعمة والنعماء ؛ أن النعماء أنعام تظهر أثره ، ويجوز أن تكون النعمة خافية .

الضلال[1]

أصل الضلال الزوال عن القصد والسير عن غير بصيرة ، وصاحبه بصدد الهلاك ؛ ولهذا قيل : أن الضلال الهلاك .

ثم استعير لمن زال عن سبيل طاعة الله ؛ فقيل للكافر ضال ، وللفاسق مثله ؛ ثم جعل اسما للعقاب على الفسق والكفر ، ويقال : أضللت فرسي وبعيري ، وكل ما زال عنك فذهب .

وضللت الطريق والدار وكل ما لا يترح ، وأضللت فلانا ؛ وجدته ضالا ، ومنه قوله : ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [سورة الجاثية آية : ٢٣] .

والإضلال ؛ أيضا الإحباط في قوله : ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد آية : ١] ، والإضلال ؛ الصرف عن القصد في قوله : ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [سورة طه آية : ٧٩] .

وقال بعضهم : الضلال والهلاك من قولهم : ضلت الناقة إذا أهلكت بضياعها ، وضل الكافر إذا هلك بكفره ، وضللنا في الأرض ؛ إذا هلكنا بقطع أوصالنا ، ورجل مضل ؛ منسوب إلى الهلاك بأنه لا يتوجه لخير ، وضل الرجل عن الطريق ؛ إذا هلك عن قصده .

---

(١) [ضل] : ضَلَّ الشَّيْءُ يَضِلُّ ضَلالاً : إذا ضاعَ . وإذا جارَ الرَّجُلُ عن القَصْدِ قيل : ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ . والتَّضْلالُ : مَصْدَرٌ كالتَّضْلِيلِ ؛ لِمَصْدَرِ ضَلَّلْتُ . وضَلِلْتُ مَكاني : إذا لم تَهْتَدِ إليه . وأَضْلَلْتُ بَعِيري : إذا أفْلَتَ فَذَهَبَ . والضَّالَّةُ من الإبِلِ : التي تَبْقَى بمَضْيَعَةٍ لا يُعْرَفُ لها رَبٌّ ، والجَميعُ الضَّوَالُّ . وكذلك اللُّقَطُ . والضَّلالَةُ : المَصْدَرُ . ورَجُلٌ مَضَلَّلٌ : لا يُوَفَّقُ لخَيْرٍ صاحِبُ غَوَاياتٍ وأَضَالِيلَ ، والواحِدُ أُضْلُوْلَةٌ . والضُّلَضِلَةُ : من الضَّلالَ . زهي أيضاً : كُلُّ حَجَرٍ قَدْر ما يُقِلُّهُ الرَّجُلُ ؛ أمْلَس ؛ في بُطُوْنِ الأوْدِيَةِ . وأرْضٌ ضُلَضِلَةٌ وضُلاَضِلَةٌ : كَثِيرةُ الحِجَارَةِ . والضَّلَضِلَةُ بفتح الضادِ الأُولى : الأرْضُ الغَلِيْظَةُ . والضِّلْضِلُ : الحِجَارَةُ المُكَسَّرَةُ يَتَضَلْضَلُ الماءُ من تَحْتِها أي يَذْهَبُ . وضَلاَضِلُ الماءِ : بَقَاياه . وإنَّه ضِلُّ أضْلاَلٍ بمعنى الصاد : إذا كانَ داهِياً مُنْكَراً . وهو ضِلاًّ بن ضِلٍّ ويُرْفَعَانِ وضِلُّ أضْلاَلٍ : إذا لم يُعْرَفْ أبوه ، وقيل : مَيِّتُ بن مَيِّتٍ ، من قَوْلِه تعالى : " أئذا ضَلَلْنا " . و " سَلَكَ وادي تُضَلَّلَ " : إذا تَكَلَّمَ فأخْطَأَ أو عَمِلَ شَيْئاً فَلَمْ يُصِبْ ، ويُقال : تَضَلَّلَ ، وكأنَّه اسْمُ أرْضٍ . و " وَقَعَ القَوْمُ في وادي تُضَلَّلَ " . وضَلَّ فلانٌ : أي ماتَ وغَيَّبَتْه الأرْضُ . وأضَلَّه قابِرُوه : دَفَنُوه . ومنه : ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ : أي خَفِيَ فيه . [المحيط في اللغة :٢/ ١٨٩] .

والضلال في القرآن على اثني عشر وجها :

الأول : التسمية والحكم ، وقال تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] يعني : أنه يسميهم ضالين ، كما تقول : جهلته إذا سميته جاهلا .

الثاني : النسيان ؛ قال : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : تنسى ، وإذا ذهب عن الطريق ، قيل : قد ضل وكذا إذا ذهب عن معرفة الشيء .

الثالث : عدم العلم بمبلغ الجرم ؛ قال : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٠] أي : لم أعلم أن وكزتي تبلغ القتل ؛ كأنه قال : فعلتها وأنا ضال عن العلم بها أنها تبلغ القتل ، ومن ذهب عن الشيء يجوز أن يقال : أنه ضل عنه .

وقال الزجاج : ﴿ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾[سورة الشعراء آية : ٢٠] أي : الجاهلين ، وهذا خطأ لأن اسم الجاهلين لا يطلق على الأنبياء .

الرابع : الخطأ ؛ قال الله : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨] أي : في خطء بين ، ولو عنوا غير ذلك كفروا ؛ فإن تضليل الأنبياء عليهم السلام على الحقيقة كفر ، وحقيقة المعنى أنه ذهب عن الاستواء في تدبير أمر الدنيا ؛ لأنه يفضل من لا غنى له على من له غنى .

الخامس : الكفر ، وهو قوله تعالى : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [سورة الفاتحة آية : ٧] يعني : بالضالين النصارى ، والمغضوب عليهم اليهود ، والمعنى غير طريق الذين تريد عقابهم في الآخرة من اليهود والنصارى ، والغضب من الله العقاب .

السادس : الغفلة ؛ قال الله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [سورة الضحى آية : ٧] أي : كنت في غفلة عن النبوة لم تدر أنك تؤتاها ، ودليله قوله : ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ﴾ [سورة الشورى آية : ٥٢] .

وقال بعضهم : ﴿ ضَالًّا ﴾ أي : في قوم ضلال ؛ كما قال أبو عثمان المازني ؛ لنزوله في بني مازن ، وعمر والغزال ؛ لمقامه بين الغزالين ، وكل من نزل في قوم نسب إليهم ، ومن

ذلك قولهم : العلوي الحماني ؛ فأما قول من قال أنه كان على دين قومه فخطأ ؛ لأن من يصلح للنبوة لا يجوز أن يستصوب عبادة الصنم .

السابع : الإحباط ؛ قال الله : ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١] أي : أحبطها ولم يحصلوا على ثوابها ، وفي هذا دليل على أن الحساب لا ينفع مع الكفر .

الثامن : العذاب ؛ قال : ﴿ وَلا تَزِدِ الظالِمِينَ إِلا ضَلالا ﴾ [سورة نوح آية : ٢٤] أي : عذابا ؛ لأنه لا يضلهم في الأول فيزيدهم ، والزيادة لا تكون إلا على أصل ، وما سمي ما يوصل إليهم من العذاب المستحق في الحال الثاني والثالث ، وما بعد ذلك زيادة لم يرد إنه يريدهم منه ما لا يستحقونه .

التاسع : تفرق الشيء حتى لا يرى ؛ قال تعالى : ﴿ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية : ١٠] .

العاشر : الصد ؛ قال تعالى : ﴿ هَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلوكَ ﴾ [سورة النساء آية : ١١٣] أن يصدوك عن الإيمان ويردونك إلى الكفر .

الحادي عشر : الخسار ؛ قال الله : ﴿ إِن الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [سورة القمر آية : ٤٧] .

وكل ما نسبه الله إلى نفسه من الضلال فسبيله التسمية والحكم ، أو الضلال عن الثواب ، ودليل هذا قوله : ﴿ وَمَا يُضِل بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦] .

وقوله : ﴿ أُولَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الضلالَةَ بِالْهُدَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٥] ، وقال : ﴿ وَيُضِل اللهُ الظالِمِينَ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِل بِهَا مَنْ تَشَاءُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٥٥] فالفتنة ؛ المحنة والابتلاء .

ونسب الضلال بها إلى نفسه ، لأن الضلال وقع من بعض الناس عندما ابتلى بها ؛ فنسب ذلك إلى نفسه ؛ كما قال : ﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٥] يعني : السورة ، والمراد أنهم ازدادوا رجسا عندها .

الثاني عشر : الحيرة ؛ قال تعالى : ﴿ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٣ ، ق : ٢٧] أي : في حيرة شديدة ، أو في حيرة بعيد دواؤها وتلافيها ويقال : ضل الطائر إذا تحير وضل الصبي ، مثله .

وأما قوله : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٤] فمعناه أن دعاء الكافرين لأوثانهم باطل لا مرجوع له ، وضل الشيء إذا بطل وهلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٧] فمعناه أنه يهدي الناس إلى ثوابه لا إلى الدين ؛ لأن الناس مهتدون إلى الدين .

وكذلك ينبغي أن يكون الإضلال هنا عن الثواب لا عن الدين ، ولو جاز أن يضل عن الدين لجاز لنا ذلك ، كما أنه جاز لنا أن نهدي إليه إذ كان الله يهدي إليه ، ولو جاز أن يضل عن الإيمان لجاز أن يدعو إلى الكفر ، ولو جاز له ذلك لجاز لنا .

الباب السادس عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله طاء

الطهارة[1]

أصل الطهارة في اللغة : البعد ، يقال : طهرت الشيء وطهرته ؛ إذا أبعدته ، وسمي الطهور طهورا لأنه يبعد الفاحشة عن الجسد وغيره .

والطهور اسم ما يتطهر به ، والطهور اسم الفعل على القياس دون السماع ، والمسموع للطهر والطهارة .

والطهارة في الشريعة : اسم يقع على معان كثيرة ، منها : الصلاة ، والزكاة ، والبر ؛ كلها طهارة ؛ يعني : أنها تطهر من الذنوب ، وقوله : ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٥٦] يطلبون إطهار النساء ولا يأتون الرجال ، أو يأتوهن في قبل الطهر يطلبون النجاسة على ما كانت العرب تدعي من ذلك .

والطهارة في القرآن على عشرة أوجه :

الأول : طهارة المرأة من دم الحيض ؛ قال الله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] .

---

(١)(ط هـ ر) : (الطَّهَارَةُ) مَصْدَرُ طَهُرَ الشَّيْءُ وَطَهُرَ خِلَافُ نَجِسَ (وَالطُّهْرُ) خِلَافُ الْحَيْضِ (وَالتَّطَهُّرُ) الِاغْتِسَالُ يُقَالُ طَهُرَتْ إذَا انْقَطَعَ عَنْهَا الدَّمُ وَتَطَهَّرَتْ وَاطَّهَّرَتْ اغْتَسَلَتْ (وَقَوْلُهُ) ﴿خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرِي بِهَا﴾ أَيْ امْسَحِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ مِنْ تَطَهَّرَ إذَا تَنَزَّهَ عَنْ الْأَقْذَارِ وَبَالَغَ فِي تَطْهِيرِ النَّفْسِ وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قِيلَ أُرِيدَ الِاسْتِنْجَاءُ (وَالطَّهُورُ) بِالْفَتْحِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى التَّطَهُّرِ يُقَالُ تَطَهَّرْت طَهُورًا حَسَنًا وَ (مِنْهُ) ﴿مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهُورُ﴾ (وَطَهُورُ) إنَاءِ أَحَدِكُمْ وَحَتَّى يَضَعَ الطَّهُورَ مَوْضِعَهُ وَاسْمٌ لِمَا يُتَطَهَّرُ بِهِ كَالسَّحُورِ وَالْفَطُورِ وَصِفَةٌ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ وَمَا حُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ إنَّ الطَّهُورَ مَا كَانَ طَاهِرًا فِي نَفْسِهِ مُطَهِّرًا لِغَيْرِهِ إنْ كَانَ هَذَا زِيَادَةَ بَيَانٍ لِنِهَايَتِهِ فِي الطَّهَارَةِ فَصَوَابٌ حَسَنٌ وَإِلَّا فَلَيْسَ فَعُولٌ مِنْ التَّفْعِيلِ فِي شَيْءٍ وَقِيَاسُ هَذَا عَلَى مَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ كَقَطُوعٍ وَمَنُوعٍ غَيْرُ سَدِيدٍ (وَالطُّهْرَةُ) اسْمٌ مِنْ التَّطْهِيرِ وَ (الْمِطْهَرَةُ) الْإِدَاوَةُ وَكَذَا كُلُّ إنَاءٍ يُتَطَهَّرُ بِهِ وَفَتْحُ الْمِيمِ لُغَةٌ . [المغرب :الطاء مع الهاء] .

الثاني : الاغتسال ؛ وهو قوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُن مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] أي : إذا اغتسلن أو تيممن عند عدم الماء .

ولا يجوز عند الفقهاء مجامعتهن إذا طهرن فقط ؛ لأنه قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُن مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٢] يعني : الفرج ، وفيه دليل على أن إيتائهن في أدبارهن حرام ؛ لأنه حرام إيتائهن في الحيض لأجل الأذى ؛ وهو القذر ، والقذر للدبر الزم .

ويجوز عند بعضهم مجامعتهن إذا طهرن قبل أن يتطهرن ، ومنه كلام كثير استقصيناه في غير موضع .

الثالث : التطهر بمعنى الاستنجاء بالماء ؛ قال الله : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٨] قال المفسرون : أراد غسل أثر البول والغائط بالماء ، وقيل : نزل في الأنصار وذلك أنهم كانوا يتبعون الحجر بالماء .

الرابع : الطهور من جميع الأحداث والجنابة ؛ قال الله : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١١] يعني : من الأحداث والجنابة ، ونظيره قوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٤٨] .

الخامس : التنزه عن إتيان الرجال في أدبارهم ، قال : ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [سورة النمل آية : ٥٦] ويحتمل أيضا الوجوه التي ذكرنا .

السادس : طهارة نساء أهل الجنة من الحيض والقذر ؛ قال الله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥] ويتضمن ذلك طهارة الأخلاق أيضا ، لأنه جاء بلفظ التكثير .

السابع : الطهارة من الذنوب ؛ قال : ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [سورة الواقعة آية : ٧٩] يعني : الملائكة ، وأراد طهارتهم من الذنوب ، وقرئ المطهرون ؛ ومعناه أنهم يطهرون غيرهم وليس بالوجه ، وقيل : هو على الأمر ؛ أي : لا يمس المصحف إلا طاهر ، ومثله : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [سورة المجادلة آية : ١٢] أي : أطهر من الذنوب .

ومعنى ذلك أنه يكون كفارة ، ونحوه قوله : ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٢] أراد إذا لم يعضلوهن لأن أزكى لكم وأطهر لكم ولهن من الذنوب ، لأنكم تأثمون بعضلكم إياهن ، ولعل العضل يحملهن على الزنا ، والعضل : المنع من التزويج وخبرها هنا أفعل .

الثامن : التبرئة من الخطأ والغلط ؛ قال الله : ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [سورة عبس آية : ١٣ ، ١٤] يعني : القرآن ، كذا قيل ؛ وقيل : يقول أنها مكرمة عند الملائكة ، مرفوعة عن الأرض .

ويجوز أن يكون أراد رفع القذر مطهرة أن يناالها يد عاصية ، ومثله : ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [سورة البينة آية : ٢] يعني : القرآن أيضا ، ويجوز أن يكون : ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي : منزهة أن يكون فيها كذب وباطل .

التاسع : إبعاد الأوثان والأصنام ؛ قال الله : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [سورة الحج آية : ٢٦] أي : أبعد عنه ما يعبد منها .

العاشر : تطهير الله العبد من الذنوب ؛ بمعنى أنه يمنحه ألطافا يمتنع معها من الذنوب ، قال الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٢] : ﴿اصْطَفَاكِ﴾ اختصك بأن قيل نذر أمك فيك ففرغك لعبادته وسد أنه نبيه ، وطهرك من الذنوب بأن وفقك لمجانبتها ، واختصك من نساء العالمين بولادة عيسى عليه السلام من غير ذكر ؛ فلما كان المراد بالاصطفاء الأخير غير المراد بالاصطفاء الأول لم يكن تكرارا معيبا ، وقال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٣٣] والمعنى أن الله وفقكم لمجانبة الذنوب فتجنبتموها وكنتم طاهرين .

الطاغوت[1]

كل ما عبد من دون الله وهو طاغوت ، والطاغوت أيضا الشيطان وهو من طغى يطغوا ، مثل : الملكوت من ملك يملك ، وقيل : هو أعجمي ، مثل : جالوت ، وطالوت ، وهو واحد وجمع .

وجاء في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشيطان ؛ قال الله : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطاغُوتِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٦] قالوا : هو الشيطان ، ويجوز أن يكون الأوثان والذي لا شك فيه أنه الشيطان ، قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطاغُوتِ﴾ [سورة النساء آية : ٧٦] لأنه قال بعد ذلك : ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ [سورة النساء آية : ٧٦] [2] .

الثاني : الأوثان ؛ قال الله : ﴿وَاجْتَنِبُوا الطاغُوتَ﴾ [سورة النحل آية : ٣٦] وهو يذكر ويؤنث ، والتأنيث قوله : ﴿الطاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [سورة الزمر آية : ١٧] ، والتذكير قوله : ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] .

الثالث : قوله : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطاغُوتِ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] جاء في التفسير أنه أراد كعب بن الأشرف ، وقيل : الكاهن .

---

(١) (ط غ ي) : طَغَا طَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ وَطَغِيَ طَغًى مِنْ بَابِ تَعِبَ وَمِنْ بَابِ نَفَعَ لُغَةٌ أَيْضًا فَيُقَالُ طَغَيْتُ . وَفِي التَّهْذِيبِ مَا يُوَافِقُهُ قَالَ الطَّاغُوتُ تَاؤُهَا زَائِدَةٌ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَغَا وَالطَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالِاسْمُ الطُّغْيَانُ وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ فَهُوَ طَاغٍ وَأَطْغَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا وَطَغَا السَّيْلُ ارْتَفَعَ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ . [المصباح المنير :الطاء مع الغين] .

(٢) قال ابن الجوزي : الطاغوت ؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، قال ابن قتيبة : الطاغوت : واحد ، وجمع ، ومذكر ، ومؤنث . قال الله تعالى : ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾ وقال : ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ [الزمر : ١٧] . والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال . أحدها : أنه الشيطان ، قاله عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، والشعبي ، والسدي ، ومقاتل في آخرين . والثاني : أنه الكاهن ، قاله سعيد بن جبير ، وأبو العالية . والثالث : أنه الساحر ، قاله محمد بن سيرين . والرابع : أنه الأصنام ، قاله اليزيدي ، والزجاج . والخامس : أنه مردة أهل الكتاب ، ذكره الزجاج أيضاً . [زاد المسير :١/ ٢٦٢] .

وأصله أن رجلا من المنافقين نازع يهوديا ، فقال اليهودي : بينك وبيني محمد صلى الله عليه .

وقال المنافق : بيني وبينك الكاهن .

وقيل : كعب بن الأشرف ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ؛ فحكم على المنافق ؛ فلم يرض ، وجاء أبا بكر فحكم عليه أيضا ، فجاءا عمر وقص اليهودي عليه القصة ؛ فأخرج السيف وقتل المنافق ؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له : أنت الفاروق ، ثم قال : ﴿ وَيُرِيدُ الشيْطَانُ أَنْ يُضِلهُمْ ضَلالا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء آية : ٦٠] فذكر الشيطان وأراد أولياء الشيطان ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] ، وكما قال : ﴿ إِن الذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٧] أي : أولياء الله .

الطمأنينة[1]

أصلها الانخفاض ، والمطمئن من الأرض : المنخفض ، وتطأمن الشيء إذا تلأطا ثم استعمل في السكون .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : السكون ؛ قال : ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٠] وتزول عنه الوسوسة ؛ لأنه إذا شاهد إحياء الموتى لم يكن للشيطان إلي وسوسته سبيل ، ومثله : ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٣] ، ونظيره : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٨] .

ويجوز أن يكون المعنى أنها تطمئن إلى ما وعد الله من ثوابه ، ويجوز أن يكون المعنى الذين نظروا واستدلوا فعرفوا الله من طريق الدلائل فاطمأنت قلوبهم ولم يخالجها شك ، فإن قيل : أوليس قد قال : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٥] والوجل ضد الطمأنينة ، قلنا : المراد في هذا أنهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم بذكر عقوباته للعصاة ؛ وجلت قلوبهم لأنهم لا يأمنون أن يعصوه ؛ فبصروا إلى عذابه .

وقوله : ﴿ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٨] أنهم إذا ذكر بذكر ثوابه اطمأنت قلوبهم لأنهم لا يعرفون من أنفسهم معصية ، وقد وثقوا بأن وعد الله حق .

الثاني : بمعنى الرضا ؛ قال : ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ [سورة الحج آية :١١] .

---

(١)(ط م ء ن) : اطْمَأَنَّ الْقَلْبُ سَكَنَ وَلَمْ يَقْلَقْ وَالِاسْمُ الطُّمَأْنِينَةُ وَاطْمَأَنَّ بِالْمَوْضِعِ أَقَامَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ وَطَنًا وَمَوْضِعٌ مُطْمَئِنٌّ مُنْخَفِضٌ قَالَ بَعْضُهُمْ وَالْأَصْلُ فِي اطْمَأَنَّ الْأَلِفُ مِثْلُ احْمَارَّ وَاسْوَادَّ لَكِنَّهُمْ هَمَزُوا فِرَارًا مِنْ السَّاكِنَيْنِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ وَقِيلَ الْأَصْلُ هَمْزَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْمِيمِ لَكِنَّهَا أُخِّرَتْ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ طَأْمَنَ الرَّجُلُ ظَهْرَهُ بِالْهَمْزِ عَلَى فَأْعَلَ وَيَجُوزُ تَسْهِيلُ الْهَمْزَةِ فَيُقَالُ طَامَنَ وَمَعْنَاهُ حَنَاهُ وَخَفَضَهُ . [المصباح المنير :الطاء مع الميم] .

الثالث : بمعنى الأمن ؛ قال الله : ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصلاةَ﴾ [سورة النساء آية : ١٠٣] ويجوز أن يكون هذا أيضا بمعنى السكون ، قال بعضهم : معناها هاهنا الإقامة ؛ أي : فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة ؛ أي : أتموها .

الطيبات[1]

أصل الياء في الطيب واو ، ومن ثم قيل للقادم : أوبة ، وطوبة ، وقيل : طوبى له ، وقيل : شيء طيب للزوم الطيب له ، كما قيل : ضيق ، وميت ، وسيد ، وما كان الصفة فيه عارضة ، قيل : فاعل ، كما قيل : ضائق .

وهي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الحلال ؛ قال تعالى : ﴿وَالطيبَاتِ مِنَ الرزقِ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٢] ، وقال : ﴿كُلُوا مِنَ الطيبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥١] ، وقال : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَ لَكُمُ الطيبَاتُ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] يعني : أن الطيبات أحلت لهم عند كمال الدين .

وذلك أنه قد أمنهم عند نزول هذه الآية أن ينسخ شيئا مما أحل لهم ، واليوم هو الذي أنزل فيه هذه الآية ، ويجوز أن يكون بمعنى الوقت ، ويجوز أن تكون الطيبات الأرزاق التي جعلها الله للناس ، ومنع بالنهي عن منازعتهم فيها ، وإنما سمي الحلال طيبا لطيبه في العاقبة .

---

(١) (ط ي ب) : الطَّيِّبُ) خِلَافُ الْخُبْثِ فِي الْمَعْنَيَيْنِ يُقَالُ شَيْءٌ طَيِّبٌ أَيْ طَاهِرٌ نَظِيفٌ أَوْ مُسْتَلَذٌّ طَعْمًا وَرِيحًا وَخَبِيثٌ أَيْ نَجَسٌ أَوْ كَرِيهُ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أَيْ طَاهِرًا عَنْ الزَّجَّاجِ وَغَيْرِهِ (وَمِنْهُ) ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ﴾ يَعْنِي الْأَرْضَ الْغَدَّةَ الْكَرِيمَةَ التُّرْبَةِ وَالَّذِي خَبُثَ الْأَرْضُ السَّبِخَةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ وقَوْله تَعَالَى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ﴾ يَعْنِي الْمُسْتَلَذَّاتِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وقَوْله تَعَالَى ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ الْخَبَائِثَ﴾ يَعْنِي كُلَّ شَيْءٍ نَجَسٍ كَالدَّمِ وَالْمَيْتَةِ وَنَحْوِهِمَا (وَفِي الْحَدِيثِ) ﴿مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا﴾ قِيلَ هِيَ الْكُرَّاثُ وَالثُّومُ وَالْبَصَلُ هَذَا أَصْلُهُمَا ثُمَّ جُعِلَا عِبَارَتَيْنِ عَمَّا يُقَارِبُ ذَلِكَ مِنْ الْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ وَالْفَسَادِ وَالْجَوْدَةِ وَالرَّدَاءَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ﴾ أَيْ مَا حَلَّ لَكُمْ وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أَيْ مِنْ جِيَادِ مَكْسُوبَاتِكُمْ أَوْ مِنْ حَلَالِهَا وَفِي ضِدِّهِ : " وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ " أَيْ الرَّدِيءَ أَوْ الْحَرَامَ يَعْنِي لَا تَقْصِدُوا مِثْلَهُ فَتَصَدَّقُوا بِهِ وقَوْله تَعَالَى ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ عَامٌّ فِي حَلَالِ الْمَالِ وَحَرَامِهِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ وَطَالِحِهِ وَصَحِيحِ الْمَذَاهِبِ وَفَاسِدِهَا وَجَيِّدِ النَّاسِ وَرَدِيِّهِمْ . [المغرب :الطاء مع الياء] .

الثاني : المن والسلوى ؛ قال : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [سورة طه آية : ٨١] وهو راجع إلى الأول ؛ لأن ذلك كان حلالا ، ويجوز أن يكون المراد أنه طيب المطعم ، ومثله : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بني إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَاتِ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقوله : ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَاتِ وَفَضلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٦] .

الثالث : الطعام اللذيذ ، واللباس الحسن ، والجماع ؛ قال الله : ﴿يَأَيهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُحَرمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَل اللهُ لَكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٧] وكان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هموا بترك ملاذ الدنيا ؛ فأنزل الله هذه الآية ، ونحوه قوله : ﴿وَلَقَدْ كَرمْنَا بني آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطيبَاتِ﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٠] ، ومثله : ﴿قُلْ مَنْ حَرمَ زِينَةَ الله التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطيبَاتِ مِنَ الرزْقِ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٢] أي : لم يحرم الله ذلك فاللفظ لفظ الاستفهام ، والمعنى الإنكار ، وهو يرجع إلى معنى الأمر باستعمال هذه الأشياء من وجوهه وحله .

الرابع : الشحوم ولحوم الإبل ؛ قال الله : ﴿حَرمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلتْ لَهُمْ﴾ [سورة النساء آية : ١٦٠] فالمراد أنه عجل عليهم طائفة من العذاب ؛ فحرم عليهم من الماء كل ما كانت حلالا لهم ، وهي ما ذكر في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الذِينَ هَادُوا حَرمْنَا﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤٦ ، النحل : ١١٨] كذا وكذا وذلك ما كان من ظلمهم .

الخامس : الذبائح ؛ قال : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِل لَهُمْ قُلْ أُحِل لَكُمُ الطيبَاتُ﴾ [سورة المائدة آية : ٤] يعني : الذبائح ، والشاهد قوله : ﴿وَمَا عَلمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ [سورة المائدة آية : ٤] فقرر ذلك بما هو من جنسه .

السادس : الغنيمة ؛ قال : ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٦] إلى أن قال : ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطيبَاتِ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٦] جاء في التفسير أنه أراد الغنيمة يوم بدر ؛ لأنه في قصد بدر وأواكم ؛ يعني : أنه أسكنكم المدينة ، وقال في آخر السورة : ﴿فَكُلُوا مِما غَنِمْتُمْ حَلالا طَيبًا﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٩] ، ويجوز

أن يكون الطيب هاهنا الذي لا إثم فيه ؛ فهو طيب في العاقبة ، وكانت الغنائم محرمة على من قبل هذه الأمة ؛ فأحلها الله لهذه الأمة .

الطعام[1]

كل ما أكل للشبع أو للشهوة مما فيه صلاح للبدن فهو طعام ، وذلك أن الطير يؤكل للشهوة وليس بطعام والذي يؤكل للشبع الخبز واللحم ، وما بسبيل ذلك والذي يؤكل للشهوة والفاكهة والأدام وما يجري هذا المجرى ، والطعم : المذاق ؛ يقال : هو طيب الطعم ، والطعم أيضا اسم يقام مقام المصدر ، والمصدر الطعم بالتحريك ، ورجل مطعم من الشيء ؛ مرزوق منه كأنه جعل له طعمه ، وفلان خبيث الطعمة ؛ أي : رديء المكسب .

والطعام في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الطعام الذي يأكله الناس ؛ قال : ﴿الذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ [سورة قريش آية : ٤] ، وقال : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقال : ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ونحوه كثير .

الثاني : مليح السمك ؛ وقال : ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٩٥] كذا جاء في التفسير ، وقيل أيضا : أنه أراد ما يصب عليه الماء وأخذ فهو من طعام البحر ، وقيل : هو ما سقاه البحر فنبت فهو طعام البحر لأنه ينبت عن مائه .

---

(١) (ط ع م) : (الطَّعَامُ) اسْمٌ لِمَا يُؤْكَلُ كَالشَّرَابِ لِمَا يُشْرَبُ وَجَمْعُهُ أَشْرِبَةٌ وَأَطْعِمَةٌ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْبُرِّ (وَمِنْهُ) حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ ﴿كُنَّا نُخْرِجُ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ﴾ (وَفِي حَدِيثٍ) الْمُصَرَّاةِ رُدَّهَا وَرُدَّ مَعَهَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ لَا سَمْرَاءَ أَيْ مِنْ تَمْرٍ لَا حِنْطَةٍ (وَقَوْلُهُ) فِي بَابِ الْأَذَانِ وَكَانَ ذَا طَعَامٍ أَيْ أَكُولًا (وَالطُّعْمَةُ) بِالضَّمِّ الرِّزْقُ يُقَالُ جَعَلَ السُّلْطَانُ نَاحِيَةَ كَذَا (طُعْمَةً لِفُلَانٍ) وَقَوْلُ الْحَسَنِ الْقِتَالُ ثَلَاثَةٌ قِتَالٌ عَلَى كَذَا وَقِتَالٌ لِكَذَا وَقِتَالٌ عَلَى هَذِهِ الطُّعْمَةِ يَعْنِي الْخَرَاجَ وَالْجِزْيَةَ وَالزَّكَوَاتِ (وَفِي السِّيَرِ) ﴿أَطْعَمَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طُعْمَةً﴾ وَفِي مَوْضِعٍ طُعْمًا عَلَى الْجَمْعِ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ طُعْمًا وَ طَعَامًا وَهُمَا بِمَعْنًى (وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللهُ) أَنَّ الْإِطْعَامَ مُخْتَصٌّ بِإِعَارَةِ الْأَرْضِ لِلزِّرَاعَةِ (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ) أَنَّهُ أَطْعَمَ عَمْرًا خَرَاجَ مِصْرَ أَيْ أَعْطَاهُ طُعْمَةً وَطَعِمَ الشَّيْءَ أَكَلَهُ وَذَاقَهُ طُعْمًا بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ إلَّا أَنَّ الْجَارِيَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ فِي عِلَّةِ الرِّبَا الْفَتْحُ وَمُرَادُهُمْ كَوْنُ الشَّيْءِ مَطْعُومًا أَوْ مِمَّا يُطْعَمُ (وَفِي كَلَامِ) الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ الْأَكْلُ مَعَ الْجِنْسِ عِلَّةٌ وَرُبَّمَا قَالَ الطَّعْمُ مَعَ الْجِنْسِ وَقَدْ تَطَعَّمَهُ إذَا ذَاقَهُ (وَمِنْهُ) الْمَثَلُ تَطَعَّمْ تَطَعَّمْ أَيْ ذُقْ تَشْتَهِ وَاسْتَطْعَمَهُ سَأَلَ إطْعَامَهُ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿إذَا اسْتَطْعَمَكُمْ الْإِمَامُ فَأَطْعِمُوهُ﴾ أَيْ إذَا أُرْتِجَ عَلَيْهِ وَاسْتَفْتَحَكُمْ فَافْتَحُوا عَلَيْهِ مَجَازٌ وَأَطْعَمَتْ النَّمَرَةُ أَدْرَكَتْ (وَمِنْهُ) نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يُطْعِمَ (وَشَجَرٌ مُطْعِمٌ) أَيْ مُثْمِرٌ . [المغرب :الطاء مع العين] .

الثالث : الذبائح ؛ قال : ﴿وَطَعَامُ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِل لَكُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٥] ، ومعروف أنه لم يرد الخبز والأدام فينبغي أن يكون على الذبائح .

وقال بعضهم : أهل الكتاب هنا هم بنوا إسرائيل دون غيرهم ممن تنصر وتهود من العرب والعجم ، وليس كذلك لأن هذا اسم لمن ينتحل التوراة والإنجيل ويظهر التدين بذلك ، ولم يسموا أهل الكبائر لأنهم من بني إسرائيل ؛ فكل من شاركهم في هذه العلة فهو منكم وطعامكم حل لهم ؛ أي : حل لكم أن تطعموهم ؛ لأن الحلال أو الحرام والفرائض بعد عقد التوحيد .

الرابع : طعم بمعنى شرب ؛ قال الله : ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنهُ مِني﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] أي : من لم يشربه ، ومجازه لم يذقه فيجد طعمه ، وقوله : ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِني﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] مع قوله : ﴿إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٩] دل على أن الشرب من النهر الكرع فيه ، وهو أن يضع شفته عليه فيشرب منه ، وهو من اغترف يده فليس بشارب من النهر ، وهو يدل على صحة قول أبي حنيفة فيمن قال : إن شربت من الفرات فعبدي حر أنه على الكرع ؛ وإذا شرب بيده أو بإناء لم حنث .

الطغيان[1]

أصله مجاوزة الحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة آية : ١١] ، ثم استعمل في شدة الظلم ؛ لأنه تجاوز لحد الصفة ؛ وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الضلال ؛ قال الله : ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٥] أي : في ضلالهم يتحيرون ، ويجوز أن يكون أراد أنهم يتحيرون فيما هم فيه من مجاوزة الحد في التمرد ؛ وتحيرهم فيه لأنهم لا يعرفون وجه قباحته ، والمتحير غير عارف لوجه أمره والعمد التحير .

ومثله قوله تعالى : ﴿رَبنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ [سورة ق آية : ٢٧] أي : ما أضللته ، والشاهد قوله : ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة ق آية : ٢٧] ، ويجوز أن يكون المراد أي : لما حمله على التمرد وشدة الظلمة لنفسه ولغيره .

الثاني : قال تعالى : ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنهُ طَغَى﴾ [سورة طه آية : ٤٣] ويجوز أن يكون أراد أنه جاوز الحد في الكبر أو الظلم والغشم ، وقال : ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ [سورة الصافات آية : ٣٠] .

الثالث : الارتفاع ومجاوزة الحد في الكثرة ؛ وقال : ﴿إِنا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [سورة الحاقة آية : ١١] أي : حملنا آباءكم على حسب ما يقال لبني شيبان : اليوم أنتم أصحاب يوم ذي قار .

الرابع : الخطأ ؛ قال : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [سورة النجم آية : ١٧] أي : ما يمل ولم يخطئ في الرؤية ، وقيل : ما عدل وما جاوز القصد في رؤيته ؛ يعني : جبريل عليه

---

(١)(ط غ ي) : طَغَا طَغْوًا مِنْ بَابِ قَالَ وَطَغِيَ طَغًى مِنْ بَابِ تَعِبَ وَمِنْ بَابِ نَفَعَ لُغَةٌ أَيْضًا فَيُقَالُ طَغَيْتُ . وَفِي التَّهْذِيبِ مَا يُوَافِقُهُ قَالَ الطَّاغُوتُ تَاؤُهَا زَائِدَةٌ وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَغَا ، الطَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَالِاسْمُ الطُّغْيَانُ وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ فهو طاغٍ وَأَطْغَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا وَطَغَا السَّيْلُ ارْتَفَعَ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ . [المصباح المنير :الطاء مع الغين] .

السلام ، وزاغ : مال وعدل ، وقيل : ﴿مَا زَاغَ﴾ ما قصر عن شيء رمى إليه ببصره ، : ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما طلب أن يجاوز ما رآه إلى غيره .

الطمس(١)

أصله ذهاب الأثر ؛ طريق طامس : لا علم فيه ، كتاب مطموس : ممحو ، وجبل طامس : لا طريق إليه ؛ قال جميل :

الأَيتكُما أَعْلَامُ بُثَينَةَ قَدْ بَـدَتْ ... كَـأَنَّ ذُرَاهَا عُممت بِسَبَيب
طَـوَامِسُ لِي مِنْ دَونِهنَّ عَدَاوةٌ ... وَلِي مِنْ وَرَادُ الطَّامِسَاتِ حَبِيب
بَعِيـدٌ عَلَى مَنْ لَيْسَ يَطْلُبُ حَاجَةً ... وَأَمَّـا عَلَى ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبُ

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى القلب ؛ قال الله : ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ [سورة النساء آية : ٤٧] أي : نقلبها فنجعلها إلى ما يلي أدبارها .

وقوله : ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ تفسير لطمسها ، وتصديق هذا قوله : ﴿وَأَما مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [سورة الانشقاق آية : ١٠] لأن الوجوه إذا قلبت أقفاء كان أصحابها يعطون الكتب وراء ظهورهم .

الثاني : ذهاب البركات ؛ قال : ﴿رَبنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] أي : اذهب ببركتها ومنفعتها وخذهم بالقحط ، ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[سورة يونس آية : ٨٨] أي : حبب إليهم أوطانهم حتى لا يغار قومها لطلب الأرزاق فيموتوا هزلا وجوعا هكذا قيل .

(١) [طمس] : طَمَسَ : لغةٌ في طسم ، أي : دَرَسَ إلاّ أنّه أَعَمُّ .
وطَمَسَ النجمُ : ذَهَبَ ضوؤه ، والقمرُ مثلُه .
وخَرْقٌ طامِسٌ ، وجبل طامِسٌ : لا نباتَ فيه ولا مَسلَكَ .
والطَّمْس الآيةُ التاسعة من آياتِ مُوسَى - عليه السلام - حين طَمَسَ اللهُ - تعالى - بدعوته على أموال فِرْعَونَ فصارت حِجارةً . [العين : طمس] .

والصواب أن يقال : أراد أن صبرهم على البلاء والإقامة في البلد المطموس فيه على أموالهم حتى لا يجزعوا فيخرجوا منه . وذلك أن الشد على القلب والربط عليه هو تصبيره بما هو فيه .

وقوله : ﴿فَلا يُؤْمِنُوا﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] موصول بقوله : ﴿لِيُضِلوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [سورة يونس آية : ٨٨] ومعنى ذلك كله على العاقبة ؛ كقوله تعالى : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص آية : ٨] .

الثالث : ذهاب النور ؛ قال الله : ﴿فَإِذَا النجُومُ طُمِسَتْ﴾ [سورة المرسلات آية : ٨] .

الطائر

طار الطائر يطير طيرانا والفعلان للاضطراب ، مثل : اللمعان والضربان .

والطائر في القرآن على وجهين :

الأول : الطائر واحد الطير ؛ قال الله : ﴿ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٨] ، وطائر وطير مثل : صاحب وصحب ، ولا يقال للواحد : طير إلا شاذا .

الثاني : الحظ ؛ قال تعالى : ﴿ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٣] أي : حظه من الرزق وغيره لازم له ، كما يقال : أمانتي في عنقك ، وهذا الحق لي في عنقك ؛ أي : هو لازم لك .

وقيل : الطائر العمل الصالح من الخير ؛ أي : يلزمك ذلك حتى تجازي به ، وقيل : الحظ من الخير والشر طائر ، تقول العرب : جرى على الفلان الطائر بكذا على طريق الفأل ، ويقال : طار لي منك كذا ؛ أي : صار حظي منك .

وقيل : معناه أن الأمر الذي يجعلونه بالطائر يلزم أعناقهم ؛ والمراد أنهم إذا تشاءموا بشيء أصابهم على ما قال النبي صلى الله عليه : " الْبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ "[1] ، ومثله : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾[سورة يس آية : ١٩] أي : حظكم لأنفسكم وتطيركم لا يزيدكم ولا ينقصكم .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾[2] [سورة النمل آية : ٤٧] أي : حظكم من الجزاء على أعمالكم لا معدل لكم عنه في الآخرة .

---

(١) أخرجه بلفظه القضاعي في مسند الشهاب من حديث حذيفة بن اليمان (٢٢٧) ، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة (١٤٩) ، وأخرجه البيهقي بلفظ البلاء موكل بالقول من حديث أنس بن مالك في شعب الإيمان ، وابن بطه في إبطال الحيل من حديث عويمر بن مالك (٨٤) .

(٢) قال صاحب «الكشاف» : كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحاً تيمن وإن مر بارحاً تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان للخير والشر وهو قدر الله وقسمته ، فأجاب صالح عليه السلام بقوله : ﴿ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ ﴾ أي السبب الذي منه يجيء خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم .

وقال ابن الأنباري في قولهم : طير الله لا طيرك ، قال : فعل الله وحكمه لا فعلك وما يتخوفه منك ، قال الفراء : الطائر عندهم العمل ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٣] ، وقوله : هو ميمون الطائر ؛ يعنون الحظ ، وهو الذي تسميه العامة البخت .

وقيل : بل المراد إن جزاء الطيرة منكم عند الله وهو العقاب ، والأقرب الوجه الأول لأن القوم أشاروا إلى الأمر الحاصل فيجب في جوابه أن يكون فيه لا في غيره . [مفاتيح الغيب :١٢/٣٦] .

الباب السابع عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ظاء

الظلمات[1]

الظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، ومنه : ظلم السقاء إذا شربه قبل أن يروب ، وقال الشاعر :

هَزَّتِ الشَّقَاشِقُ ظَلامُونَ لِلجزرِ

أي يعرقبونها فيجعلون العرقبة مكان النحر ؛ ومنه قيل الظلمة لأنها قد تكون سببا لوضع الشيء في غير موضعه لعدم الإبصار فيها ، وقال بعض أهل اللغة : يقال في الجمع القليل منه ظلم ومنه ثلث ظلم ، والكثير الظلمات وهذا خلاف الأصل ؛ لأن الجمع القليل يجيء بالتاء في جميع اللغة .

والظلمات في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الكفر ؛ قال الله : ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النورِ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٤٣ ، الحديد : ٩] أي : من الكفر إلى الإيمان ؛ فأخرج ما يرى بالعين إلى ما لا يرى بالعين ليتولد التشبيه ، وجعل الكفر ظلمة لما في الكفر من الحيرة والوحشة ، والإيمان نورا لما يكون مع النور من الاهتداء والاستقامة والأنس بثلج اليقين .

الثاني : الأهوال ؛ قال الله : ﴿قُلْ مَنْ يُنَجيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٣] قال أهل التفسير : أراد أهوالها ، ويجوز أن يكون أراد الظلمات بعينها ، ومن الأول قولهم : يوم مظلم ، وأظلم النهار في عينه ؛ يريدون الهول والشدة .

---

(١)(ظ ل م) : (الْمَظْلِمَةُ) الظُّلْمُ فِي قَوْلِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا مَظْلِمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَاسْمٌ لِلْمَأْخُوذِ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ فُلَانٍ مَظْلِمَتِي وَظُلَامَتِي أَيْ حَقِّي الَّذِي أُخِذَ مِنِّي ظُلْمًا وَأَمَّا فِي يَوْمِ الْمَظَالِمِ فَعَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ (وَقَوْلُهُ) فَظَنَّ النَّصْرَانِيُّ أَنَّهُ لَمْ يَلْتَفِتْ إلَى ظُلَامَتِهِ يَعْنِي شِكَايَتَهُ وَهُوَ تَوَسُّعٌ . [المغرب :الظاء مع اللام] .

الثالث : الظلمة بعينها ؛ قال الله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنورَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١] وقد تقدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور ، كما خلق الجنة قبل النار ، والسماوات قبل الأرض .

وفي هذا معنى حسن ، وهو جعله مثالا للشك الذي غلبه البرهان والدلالة ؛ فأما الجنة فقدمت لأنها الغرض المطلوب ، وأما السماوات فقدم خلقها لأنها أشرف من الأرض من غير اعتراض معنى يزيلها عن مرتبتها .

والفرق بين جعل الظلمات وفعل الظلمات ؛ أن الجعل يقتضي فعلها على الصفة التي هي عليها ، كما يقال : جعل الطين خزفا ، والجعل أيضا يدل على الاتصال ؛ ولذلك جعل طرفا للفعل يستفتح به ؛ كقولك : جعل يقول ، وجعل ينشد ، قال الشاعر :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوفَ تَسْلُكَ فَـــازِرًا وَالمَوتُ مُكْتَنِع طَرِيقِـي فَـــازِرِ
فَاجعَل بِحلل مَنْ يَمُسَّـكَ إِنَّمَـــا حِنْثُ اليَمينِ عَلَى الأَثِيمِ الفَاجِـــرِ

الظلم

قد ذكرنا أن أصله وضع الشيء في غير موضعه ، ويجوز أن يكون أصله النقصان ، ومنه قوله : ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٣٣] أي : لم تنقص ، والمظلومة : أرض لم تمطر بين أرضين قد مطرنا ؛ كأنها نقصت حقها .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الشرك ؛ قال الله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٢] ، والشاهد قوله : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان آية : ١٣] ، ولما نزلت قوله : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ شق على الناس ؛ فقالوا : يا رسول الله ، وأينا لا يظلم نفسه ، فقال : " أنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح : إن الشرك لظلم عظيم "[1] .

الثاني : ظلم العبد نفسه ؛ قال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] .

فإن قيل : كيف يظلم العبد نفسه ولم يقصد ضررها ؟ قلنا : لأنه يقصد إلى ضرر قبيح ينزل بها من أجل شهوته له فيضرها من حيث يظن أنه ينفعها ، ولو نظر فيما يأتيه حق النظر وقف على مكان الضرر منه فيكون ظالما لنفسه بذلك ؛ ونظيرها قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [سورة فاطر آية : ٣٢] .

ويجوز أن يكون المعنى أنه ينقصها الحظ من الثواب والذكر الجميل .

الثالث : ظلم الإنسان غيره ؛ قال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا ﴾ [سورة النساء آية : ٣٠] والعدوان والظلم واحد ؛ وإنما كرر اللفظين على المعنى الواحد إرادة التوكيد والتصرف في الكلام على ما بينا من مذهب قوم يذهبون إلى ذلك ، وأصح منه أن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود (٣٥٧٨) ، وأبو عوانة في المستخرج (٢١٢) ، (٢١٤) ، والعراقي في طرح التثريب ج٦/ ٢١١ .

يقال : العدوان مجاوزة الواجب ، والظلم هنا وضع الشيء في غير موضعه من قبل النفس المذكورة في الآية ، فلما اختلف معنى اللفظين عطف أحدهما على الآخر ؛ ولولا ذلك لم يجز العطف .

الرابع : النقص ؛ قال : ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٣٣] أي : لم تنقص وقال : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٤٨] .

الظالمون

في القرآن على أربعة أوجه :

أولها : المشركون ؛ قال : ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظالِمِينَ ﴾ [سورة هود آية : ١٨] كذا قيل ، ويجوز أن يكون غيرهم ممن يظلم ، كثير الظلم داخلا معهم ، وقوله : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٧] وهم يعلمون أن الله لا يجعلهم مع المشركين ؛ ولكن هذا القول منهم تعظيم لما فيه المشركون من العذاب .

الثاني : الظالم لنفسه ؛ وهو الذي ينقصها بعض ثوابها بمعصية يوافقها ، قال : ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٥ ، الأعراف : ١٩] ، وقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِي كُنْتُ مِنَ الظالِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٨٧] أي : لنفسه بخطيئته ، وقال موسى عليه السلام : ﴿ إِنِي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ [سورة القصص آية : ١٦] ومعنى هذين الحرفين داخل فيما تقدم .

الثالث : الجحود ؛ قال تعالى : ﴿ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩] أي : يجحدون ؛ كذا قال ابن عباس ، ومقاتل .

وقيل : أراد أنهم يظلمون أنفسهم بالكفر بها ، وقيل : يظلمون بها ؛ أي : يكفرون بها لوضعهم إياها في غير موضعها .

ويجوز أن يكون المعنى أنهم يظلمون النبي والمؤمنين بها ؛ أي : بتصديقهم بها لأنهم ينسبونهم في ذلك إلى الخطأ ويؤذونهم من أجلها وهذا على مقتضى اللفظ ، وقوله : ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٣ ، الإسراء : ٥٩] أي : جحدوا بها .

ويحتمل الوجوه التي تقدمت أيضا ، ويقال : جحد بالشيء ؛ إذا أنكر صحته ، وجحده ؛ إذا أنكر وجوده ، كما يقال : جحد حقه .

الرابع : السرقة ؛ قال : ﴿وَالسارِقُ وَالسارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنَ اللهِ﴾ ، ثم قال : ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٨ ، ٣٩] ، وقال : ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظالِمِينَ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤١] يعني : السارقين .

والظلم في هذا الوجه يرجع إلى النقصان ؛ لأن السارق ينقص مال المسروق ، ويجوز أن يكون سمى الله السارق ظالما لأنه يدخل الضرر على من لا يستحقه ، وكل ضرر غير مستحق ولا معقب نفعا ظلم ، وقد سمي أيضا ظالما ؛ لظلمه لنفسه .

الظهور وما يتصرف منه[1]

قد ذكرنا أن أصله من العلو ، يقال : ظهر فوق البيت إذا علاه ، وقال الشاعر :

وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارِهَا

أي عارها مرتفع عنك لا يلحقك ، وظهر كل شيء أعلاه ، وظهر الرجل ؛ بين درعين إذا ألبس إحداهما فوق أخرى ، وظاهر الرجل الرجل إذا عاونه فعلا أمره ، وهو ظهيره ؛ أي : معينه ، ودرع مظاهرة ؛ إذا نسجت حلقتين حلقتين .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : ظهر إذا بدا ؛ قال الله : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الروم آية : ٤١] ، ونتكلم في هذه الآية في باب الفاء إن شاء الله تعالى .

وقال : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [سورة غافر آية : ٢٦] ، وقال : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الروم آية : ٧] يعني : ما بدا منه من معاشهم ؛ أي : يعرفون ذلك من شدة عنايتهم به ، ويغفلون عن المعاد ، وقال : ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور آية : ٣١] أي : لا يبدين الزينة الباطنة ، نحو : المخنقة ، والخلخال ، والدملوج ، والسوار ؛ فإن ذلك من التبرج ، والذي يظهر الثياب والوجه والكفان ، وزينة الوجه الكحل ، وزينة الكف الخضاب والخاتم .

وقد أباح النظر إلى زينة الوجه والكف ؛ فاقتضى ذلك لا محالة إباحة النظر إلى الوجه والكف ، ويدل على أن الوجه والكف ليسا من العورة ؛ إنها تصلي مكشوفة الوجه واليدين فجاز نظر الأجنبي إليهما لغير شهوة ، وجاز أن ينظر إليهما لعذر وإن كان تشبيها ، مثل : أن يريد تزويجها ، أو ينظر إليها لشهادة ، أو لأنه حاكم يريد أن يسمع إقرارها ، ويدل على أنه لا

---

(١) (ظ هـ ر) : ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا بَرَزَ بَعْدَ الْخَفَاءِ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ لِي رَأْيٌ إِذَا عَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَهُ وَظَهَرْتُ عَلَيْهِ اطَّلَعْتُ وَظَهَرْتُ عَلَى الْحَائِطِ عَلَوْتُ وَمِنْهُ قِيلَ ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ إِذَا غَلَبَهُ وَظَهَرَ الْحَمْلُ تَبَيَّنَ وُجُودُهُ وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ سَأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ النِّسَاءِ عَنْ ظُهُورِ الْحَمْلِ فَقُلْنَ لَا يَتَبَيَّنُ الْوَلَدُ دُونَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . [المصباح المنير :الظاء مع الهاء والراء] .

يجوز النظر إلى الوجه لشهوة ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ "(١) .

الثاني : الإطلاع ؛ قال الله : ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [سورة الجن آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وقال : ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الكهف آية : ٢٠] أي : يطلعوا .

الثالث : الارتقاء ؛ قال الله : ﴿مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٣] أي : يرتقون ، والمعارج : الدرج ، يقال : أعرج الملك إذا صعد ، وعرج إذا نزل ، وقال : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [سورة الكهف آية : ٩٧] أي : يعلوه ، وهو من قولهم : ظهر فوق البيت ؛ إذ أعلاه .

الرابع : التعاون ؛ قال : ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] أي : تعاونا ، وقال : ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[سورة التحريم آية : ٤] أي : ظهرا ، يريد أن الملائكة أيضا تضار النبي صلى الله عليه وسلم ، وقريب منه : ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ [سورة الحاقة آية : ١٧] أي : الملائكة ، وقال : ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التحريم آية : ٤] فذكر الواحدا وأراد الجمع .

والأرجاء : الجوانب واحدها رجاء مقصور ، وهما رجوان ، ويقال : يرمى بفلان الرجوان ، إذا كان سائرا لا يستقر ركابه ، وقال : ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٢٦] .

الخامس : العلو والغلبة ؛ قال : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٣ ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩] أي : ليغلبه حتى يغلب كل دين يدان به .

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب (٢٧٧٧) ، وأبو داود (٢١٤٩) ، وأحمد في مسنده (٢٢٤٦٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ٩٠ .

وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه خبر وقع مخبره على ما أخبر به ، ومثله : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ﴾ [سورة غافر آية : ٢٩] أي : عالين قاهرين ، ومثله : ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [سورة الصف آية : ١٤] .

السادس : الباطل ؛ قال أهل التفسير في قوله : ﴿أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٣] أي : بباطل ، وأم هاهنا بمعنى بل ، ومنه قوله : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٢] أي : بل أنا خير لأنه قال : أيخبرونهم بما لا يعلم في الأرض بل يقول : زائل باطل لا ينبت ، وهو ادعاؤكم لهم الألهية .

وقوله : ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٣] يعني : الملائكة لأنهم عبدوهم ، فقال لهم : إنكم تعبدونهم فما أسماؤهم ، قالوا ومنه قوله تعالى : ﴿يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [سورة المجادلة آية : ٣] أي : يقولون باطلا .

وأصل هذه الكلمة عندنا من قولهم : أنت علي كظهر أمي ، وكان من طريق الجاهلية ، وصار في الإسلام فيه كفارة صورتها معروفة ونزلت في خولة بنت ثعلبة ، وأوس بن الصامت .

السابع : بمعنى الإعراض عن الشيء ؛ قال : ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيا﴾ [سورة هود آية : ٩٢] أي : جعلتموه وراء ظهوركم ؛ يعني : أنكم تركتم العمل به ، ويقال : جعلت حاجتي تظهر إذا أطرحتها ولم تلتفت إليها .

والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر ، وقيل : الظهري ؛ ما جعل وراء الظهر وقد ظهرته أي : جعلته كذلك ، وقيل : معناه أنه ثقل عليكم ، من قول العرب : حملت فلانا على ظهري إذا ثقل عليك ، ويقال أيضا : ظهر بفلان ؛ إذا لم يلتفت إليه ، قال الشاعر :

جَدَّ تَأمُرُ بَنِي البرِّ شَاءَ من وَلَدِ الظَّهْرِ

أي الذين يظهر بهم ولا يلتفت إلى أرحامهم ، والظهري في غير هذا الموضع : العون ، ومنه الظاهري في الدواب .

والكلمة من الأضداد ، : ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي : اتخذتم الله وراءكم ، وحقيقة المعنى أنكم جعلتم أمره بمنزلة ما وراء ظهوركم لا يلتفتون إليه ، وقيل : الضمير في : ﴿اتَّخَذْتُمُوهُ﴾ لما جاء به متغيب وهو قول مجاهد ، ولفظ الآية دال على الوجه الأول .

الظلال

يجوز أن يقال أصل الظل : الدوام ، ومنه يقال : ظل يفعل كذا ؛ أي : دام يفعله ، ويجوز أن يكون أصل الظل : الستر ، وظل الليل : ظلمته لأنها تستر كل شيء ، وهو بالغداة وما طلعت عليه الشمس ثم زالت فهو في ، لأنه فاء من جانب إلى جانب ، وألفيء الرجوع .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : جمع ظل ، قوله : ﴿وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [سورة الرعد آية : ١٥] جاء في التفسير أن الكافر لا يسجد لله ، ومثله : يسجد على كره منه ، والمراد أن الحال يتصرف بالظل لدوران الشمس وتنقلها من مكان إلى مكان ؛ وفيه دليل على الخالق ؛ فجعل ذلك سجودا لأن حال السجود أبين ، والغدو هنا اسم للوقت ، وأصله المصدر ، والآصال جمع أصيل ، وهو العشي ، وقال بعضهم : الظل ما يستراح إليه .

الثاني : جمع ظلة ؛ قال الله : ﴿فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [سورة يس آية : ٥٦] وهي جمع ظلة ، مثل : قلة ، وقلائل .

وأما قوله : ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾[1] [سورة الواقعة آية : ٤٣] و : ﴿ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ [سورة المرسلات آية : ٣٠] ومعناه دخان جهنم ، واليحموم الأسود ، وأراد أنه يغشاهم فيسترهم ؛ فسماه ظل لأن الظل الستر .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿وَظِلّ مّن يَحْمُومٍ﴾ اليحموم يفعول من الأحم : وهو الأسود ؛ والعرب تقول : أسود يحموم : إذا كان شديد السواد ، والمعنى : أنهم يفزعون إلى الظلّ ، فيجدونه ظلاً من دخان جهنم شديد السواد . وقيل : وهو مأخوذ من الحم ، وهو الشحم المسودّ باحتراق النار . وقيل : مأخوذ من الحمم ، وهو : الفحم . [فتح القدير :٧/ ١٢٨] .

الظن[١]

الظن في العربية على وجهين : شك ، ويقين ، وقد جاء في القرآن كذلك ، قال الله : ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [سورة الحاقة آية : ٢٠] أي : أيقنت ، ومنه قول الشاعر :

ظَنُّوا بألفي مُدْحَج

أي : أيقنوا ذلك ، وليس ذلك في أصل اللغة ، وإنما صار كذلك في الاستعمال ، ومن جهة الاستعارات وكثرتها في الكلام .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٦] أي : يوقنون .

وقال ابن درستويه : يتوهمون ذلك ، والكافر لا يتوهمه .

وهذا خطأ لأنهم لو كانوا يتوهمونه ولا يوقنونه لكانوا كفارا ؛ لأن التوهم من قبيل الشك ، والشاك بالبعث كافر .

والآخر قوله : ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى﴾ [سورة الانشقاق آية : ١٤ ، ١٥] أخبر أنه كان شاكا في البعث .

وقال أبو بكر رحمه الله : الظن على أربعة أقسام : محظور ، وواجب ، ومندوب إليه ، ومباح .

فالمحظور : سوء الظن بالله ، وكل ظن لصاحبه سبيل إلى العلم فيه ؛ مما تعبد به فهو محظور .

(١) (ظ ن ن) : الظَّنُّ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ قَتَلَ وَهُوَ خِلَافُ الْيَقِينِ قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ وَغَيْرُهُ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْيَقِينِ كَقَوْلِهِ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ وَمِنْهُ الْمَظِنَّةُ بِكَسْرِ الظَّاءِ لِلْمَعْلَمِ وَهُوَ حَيْثُ يُعْلَمُ الشَّيْءُ قَالَ النَّابِغَةُ فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ وَالْجَمْعُ الْمَظَانُّ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ مَظِنَّةُ الشَّيْءِ مَوْضِعُهُ وَمَأْلَفُهُ وَالظِّنَّةُ بِالْكَسْرِ التُّهَمَةُ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ ظَنَنْتُهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ أَيْضًا إذَا اتَّهَمْته فَهُوَ ظَنِينٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَفِي السَّبْعَةِ (﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾) أَيْ بِمُتَّهَمٍ وَأَظْنَنْتُ بِهِ النَّاسَ عَرَّضْتُهُ لِلتُّهَمَةِ . [المصباح المنير :٥/ ٤٩٠] .

وأما الظن الواجب : فمثل ما تعبد بإنفاذ الحكم به ، ولم ينصب عليه دليل ؛ نحو : قبول شهادة العدول ، وتحري القبلة ، وتقويم المستهلكات ، وأروش الجنايات التي لم يرد بها توقيف .

وأما المباح : فكالظان في الصلاة ، أمره النبي صلى الله عليه بالعمل على غالب الظن ؛ فإن فعل كان مباحا ، وإن عدل إلى البناء على اليقين كان جائزا .

والمندوب إليه : حسن الظن بالأخ المسلم ، قال الله تعالى : ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة النور آية : ١٢] .

الباب الثامن عشر

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله عين

القول في العالَمين

العالم يقع على الملائكة والإنس والجن ، واشتقاقه من العلم ؛ لأنه يقع على من يعلم ، ويصلح أن يكون من العلامة ؛ لأن فيهم دلائل على خالقهم .

وقيل : أهل كل زمان عالم ، وقيل : كل ما يحوي الفلك عالم ، والناس يقولون : العالم العلوي ؛ يعنون السماء وما فيها ، والعالم السفلي ؛ يريدون الأرض وما عليها ، ويقولون على وجه التشبيه : إن الإنسان العالم الصغير وإلي فلان تدبير العالم يعنون الدنيا .

واشتقاقه على هذا القول من العلامة فقط ، وقيل : العالم اسم أشياء مختلفة فلا يوحد وليس هو مثل الناس ؛ لأن كل واحد من الناس إنسان ، وليس كل واحد من العالم ملائكة .

والعالم إن كان جميعا لا واحدا له من لفظه ؛ فليس هو ، كالنعم والرهط والنسوة ؛ لأن كل واحد من هذه الأشياء جمع لجنس بعينه ، والعالم جمع لأجناس مختلفة ، وقال بعضهم : العالم كل جنس ذي روح .

وحكي عن العرب : عالم من الطير ومن الظباء وليس ذلك بمعروف عندنا ، وعندنا أن العالم سمي عالما لأنه يصلح أن يستدل به فيوصل إلى العلم ، ومثله : الخاتم لأنه يصلح للختم على الأشياء ، والطابَعُ يصلح أن يطبع به .

قال المفضل : العرب تقول : العالمين في الرفع والنصب والجر ؛ لأنه جمع لا نظير له ، وكان حقه أن يجمع به على عوالم وعواليم ، مثل : خاتم وخواتيم وخواتم ، فلما انقطع عن بابه جمع بالنون وألزم الياء وأجرى مجرى : المقتوين والمفتكرين ، قال : وقد جاء عن قوم من كنانة وأسد عالمون وليس بمشهور .

ولفظ العالمين في القرآن مستعمل في أربعة مواضع :

الأول : الملائكة والجن والإنس ؛ وهو قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لله رَب الْعَالَمِينَ﴾[1] هذا قول أكثر المفسرين ، وإنما ذكر هؤلاء : ﴿وَهُوَ رَب كُل شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٤] لأن الأقل داخل في الأكثر .

الثاني : الجن والإنس خاصة ؛ قال الله : ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان آية : ١] أي : عظة وزجرا عن المعاصي وداعيا إلى التوحيد .

الثالث : قوله : ﴿وَفَضلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الجاثية آية : ١٦] يعني : عالمي زمانهم ، ودليل هذا أنه لم يفضلهم على أمة محمد عليه السلام ؛ ولو فضلهم لم يقل : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ لِلناسِ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٠] .

---

(١)قال الرازي : العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى ، وهي على ثلاثة أقسام : المتحيزات ، والمفارقات ، والصفات . أما المتحيزات فهي إما بسائط أو مركبات ، أو البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات ، وأما المركبات فهي المواليد الثلاثة ، واعلم أنه لم يقم دليل على أنه لا جسم إلا هذه الأقسام الثلاثة ، وذلك لأنه ثبت بالدليل أنه حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له ، وثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات ، فهو تعالى قادر على أن يخلق ألف ألف عالم خارج العالم ، / بحيث يكون كل واحد من تلك العوالم أعظم وأجسم من هذا العالم ، ويحصل في كل واحد منها مثل ما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسموات والأرضين والشمس والقمر ، ودلائل الفلاسفة في إثبات أن العالم واحد دلائل ضعيفة ركيكة مبنية على مقدمات واهية ؛ قال أبو العلاء المعري :

يا أيها الناس كم لله من فلك ** تجري النجوم به والشمس والقمر

هين على الله ماضينا وغابرنا ** فما لنا في نواحي غيره خطر

ومعلوم أن البحث عن هذه الأقسام التي ذكرناها للمتحيزات مشتمل على ألوف ألوف من المسائل ، بل الإنسان لو ترك الكل وأراد أن يحيط علمه بعجائب المعادن المتولدة في أرحام الجبال من الفلزات والأحجار الصافية وأنواع الكباريت والزرانيخ والأملاح ، وأن يعرف عجائب أحوال النبات مع ما فيها من الأزهار والأنوار والثمار ، وعجائب أقسام الحيوانات من البهائم والوحوش والطيور والحشرات لنفد عمره في أقل القليل من هذه المطالب ، ولا ينتهي إلى غورها كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ مَّا فِي الأرض مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ والبحر يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كلمات الله﴾ [لقمان : ٢٧] وهي بأسرها وأجمعها داخلة تحت قوله ﴿رَبِّ العالمين﴾ . [مفاتيح الغيب :١/ ٣٥] .

الرابع : الناس من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، قال : ﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٢] والاصطفاء هاهنا بمعنى أنه خصها بإخراج الولد منها من غير ذكر .

ويجوز أن يكون في الأنبياء من هو مثلها في الفضل ، مثل : آسيا وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ، للأثر المروي "خير نساء العالمين : آسيا ، ومريم بنت عمران ، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه"[1] .

(١) أخرجه ابن حبان من حديث أنس بن مالك (٦٩٥١) ، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٤) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٩٦١) ، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣/ ١٥٤ ، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٩٠٤١) .

العمى(١)

أصل العمى من الستر ، ومنه قيل : السحاب العماء ؛ لأنه يستر السماء ، وعمي الرجل ؛ كأنه سترت عنه المرئيات ، وعمي عن الصواب تشبيه كأنه ستر عنه ، ويقولون للفلاة التي لا علم فيها : عمياء وعطشاء ، والعطش ضعف البصر ، وقالوا لها ذلك لأنهم لا يبصرون فيها القصد لأنه قد ستر ، وفي القرآن : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ [سورة القصص آية : ٦٦] لأنها سترت .

والعمى وما يتصرف منه في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : عمى القلب ؛ قال : ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ [سورة الحج آية : ٤٦] والمعنى أنها لا تنتفع ببصائرها كما لا تنتفع العمى بأبصارها ، ومثله : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨ ، ١٧١] فجعلهم صما لأنهم لا ينتفعون بما يسمعون فكأنهم لا يسمعون ، كما أن الأصم لا يسمع ؛ وسماهم عميا على هذا السبيل ، وبكما لأنهم إذا سئلوا عن صحة ما يذهبون إليه لم يأتوا بحجة وكأنهم بكم .

وقوله : ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [سورة يونس آية : ٤٣] ، وقال : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ [سورة الإسراء آية : ٧٢] ومعنى ذلك أنه إذا عمي في الدنيا عن التوبة وقد جعل الله إليها سبيلا كان في الآخرة أعمى ؛ لأنه لا يجد متابا ، وأضل سبيلا ؛ لأنه لا يهتدي إلى طريق النجاة والفوز .

الثاني : عمى البصر ؛ قال : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [سورة النور آية : ٦١ ، الفتح : ١٧] ، وقوله : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ [سورة عبس آية : ١ ، ٢] يعني : عبد الله ابن أم مكتوم ، وكان ضريرا ؛ جاء النبي عليه السلام وهو

---

(١) [عمي] : العَمَى : ذَهابُ البَصرَ ، عَمِيَ يَعْمَى عَمىً . وفي لغة اعمايَّ يَعمايُّ اعميياء ، أرادوا حَذْوَ ادهَامَّ ادهيماماً فأخرجوه على لفظٍ صحيح كقولك ادهامَّ : اعمايَّ . ورَجُلٌ أعْمَى وامرأة عَمْياءُ لا يَقَعُ على عَيْنٍ واحدةٍ . وعَمِيَت عَيْناهُ . وعَينانِ عَمياوان . وعَمْياوات يَعني النساء . ورجالُ عُمْيٌ . ورَجُلٌ عَمٍ ، وقَومٌ عَمُون من عَمَى القَلْب ، وفي هذا المعنى يُقال ما أعماه ، ولا يُقال ، من عَمَى البَصرَ ، ما أعماه لأنّه نَعْتٌ ظاهرٌ تُدركُه الأبصارُ . [العين :عمى] .

يدعوا بعض أشراف قريش إلى الإسلام ؛ فتشاغل عنه ؛ فنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ [سورة عبس آية : ١] إلى قوله : ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [سورة عبس آية : ١٠] .

الثالث : العمى عن الحجة ؛ قال تعالى : ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [سورة طه آية : ١٢٥] جاء في التفسير أنه أراد ؛ لم حشرتني أعمى عن الحجة وقد كنت بها بصيرا في الدنيا ، ويجوز أن يكون بمعنى عمى العين على ما قدمنا قبل ؛ وهو أنه حشره أعمى ليجعله علامة بين الخلق .

العلم[1]

هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ، وأصله الظهور ، ومنه قيل للجبل : علم لظهوره ، وأعلام الشيء دلائله ؛ لأنها تدل بظهورها عليه ، والمعلم : الموضع المعروف .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : على قول بعض المفسرين الرؤية ؛ قال الله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ [سورة محمد آية : ٣١] ، ومثله : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٢] .

جاء في التفسير أنه أراد الرؤية ؛ أي : حتى نراهم مجاهدين ؛ لأنه تعالى كان يعلم المجاهدين قبل الجهاد ، وقيل : معنى العلم هنا التمييز ، وسمى التميز علما ؛ لأن العلم يقع معه بحال ما يتميز وما يتميز منه ، وقيل : معناه ليصبر المؤمنون على ما يصابون به ؛ فجعل العلم منه مكان الصبر منهم إذ كان الله عالما بصبرهم إذا صبروا ، وقيل : يعلمهم فاعلين كما يعلمهم معتقدين .

الثاني : العلم بعينه ؛ قال : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة البقرة آية : ٧٧ ، هود : ٥ ، النحل : ٢٣] ، وقال : ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١١٠] .

---

(١) (ع ل م) : الْعِلْمُ الْيَقِينُ يُقَالُ عَلِمَ يَعْلَمُ إذَا تَيَقَّنَ وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ .
وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أَيْ عَلِمُوا وَقَالَ تَعَالَى (﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾) أَيْ لَا تَعْرِفُونَهُمْ اللهُ يَعْرِفُهُمْ وَقَالَ زُهَيْرٌ وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي أَيْ وَأَعْرِفُ وَأُطْلِقَتْ الْمَعْرِفَةُ عَلَى اللهِ تَعَالَى لِأَنَّهَا أَحَدُ الْعِلْمَيْنِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا اصْطِلَاحِيٌّ لِاخْتِلَافِ تَعَلُّقِهِمَا وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سَابِقَةِ الْجَهْلِ وَعَنْ الِاكْتِسَابِ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ وَعِلْمُهُ صِفَةٌ قَدِيمَةٌ بِقِدَمِهِ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَإِذَا كَانَ عَلِمَ بِمَعْنَى الْيَقِينِ تَعَدَّى إلَى مَفْعُولَيْنِ وَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى عَرَفَ تَعَدَّى إلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَقَدْ يُضَمَّنُ مَعْنَى شَعَرَ فَتَدْخُلُ الْبَاءُ فَيُقَالُ عَلِمْتُهُ وَعَلِمْتُ بِهِ وَأَعْلَمْتُهُ . ـبَرَ وَأَعْلَمْتُهُ بِهِ وَعَلَّمْتُهُ الْفَاتِحَةَ وَالصَّنْعَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ تَعْلِيمًا فَتَعَلَّمَ ذَلِكَ تَعَلُّمًا . [المصباح المنير :العين مع اللام] .

الثالث : الإذن ؛ قال تعالى : ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ [سورة هود آية : ١٤] أي : بإذن الله ، وسمي الإذن علما ؛ لأن أصل الإذن العلم ، ومنه الآذان ؛ وقد ذكرنا ذلك ، وقيل : معناه أنزله وهو عالم به .

العز

أصل العز الغلبة ، ومنه قيل : من عزيز . أي : من غلب اغتصب ، ثم استعمل في المنعة ، فقيل : فلان عزيز الجانب ؛ أي : منيعه ، وقال الهزلي :

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فِرَاشِ عَـــزِيزَةٍ سَودَاءَ رَوثَةُ أَنْفِهَا كالمِخْصَـــفِ

ومن الغلبة ؛ قوله تعالى : ﴿ وَعَزَنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٣] أي : غالبني ، وسمي الله عزيزا لأنه الغالب الذي لا يقهر ، وفي مثل : إنما تعز من ترى وتعزك من لا ترى ، والعزيز أيضا القليل ، يقال : هذا شيء عزيز ؛ أي : قليل ، وإنما سمي القليل عزيزا ؛ لأنه لا يقدر عليه ، شبهه بالعزيز من الرجال ، ليس أن العز في العربية القلة .

وهو في القرآن على سبعة أوجه :

الأول : المنعة ؛ قال تعالى : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾ [سورة النساء آية : ١٣٩] .

الثاني : العظمة ؛ قال الله : ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٤٤] أي : بعظمته .

الثالث : خلاف الذل ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ [سورة النمل آية : ٣٤] ، وقوله : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ [سورة المنافقون آية : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [سورة الدخان آية : ٤٩] ومعنى ذلك يرجع إلى العظمة .

الرابع : الحمية ؛ قال الله : ﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾(١) [سورة البقرة آية : ٢٠٦] أي : إذا أمرته بالتقوى أخذته الحمية من الائتمار لك فأثم ، ومثله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

---

(١) قال الشوكاني : العزة : القوّة والغلبة ، من عَزَّه يعزّه : إذا غلبه ، ومنه : ﴿ وَعَزَّنِى فِى الخطاب ﴾ [ص :٢٣] وقيل : العزة هنا : الحمية ، ومنه قول الشاعر :

أخذَته عزّة من جهْله *** فَتولىَّ مُغْضَباً فعل الضَّجِر

وقيل : العزة هنا : المنعة وشدّة النفس . ومعنى : ﴿ أَخَذَتْهُ العزة بالإثم ﴾ حملته العزة على الإثم ، من قولك أخذته بكذا : إذا حملته عليه ، وألزمته إياه . وقيل : أخذته العزة بما يؤثمه ، أي : ارتكب الكفر للعزة ، ومنه : ﴿ بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص : ٢] وقيل : الباء في قوله : ﴿ بالإثم ﴾ بمعنى اللام ،

وَشِقَاقٍ﴾ [سورة ص آية : ٢] أي : في حمية يشاقونك معها ؛ أي : يباعدونك ، وقيل : المعنى أخذته العزة بالإثم الذي في قلبه ؛ فأقام الباء مقام اللام ، كما قال غيره :

حَشَرَ الإِمَالَةُ جَوَانِبَ قَمْقَم

أي : من أجله ؛ فأقام حرفا مقام حرف .

الخامس : الغلظة ؛ قال الله : ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة آية : ٥٤] أي : غلظا .

السادس : العزيز بمعنى الشديد ؛ قال الله : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٨] ، وقوله : ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٠ ، فاطر : ١٧] أي : شديد يشق فعله عليه .

السابع : التقوية ؛ قال : ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [سورة يس آية : ١٤] أي : قوينا ، واستعز الشيء إذا قوي واشتد .

أي : أخذته العزّة ، والحمية عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه ، وهو : النفاق ، وقيل : الباء بمعنى : مع ، أي : أخذته العزّة مع الإثم . [فتح القدير :١/ ٢٧٨] .

العبادة[1]

أصل العبادة التذلل ، يقال : طريق معبد ؛ أي : موطوء مذلل ، ويعبر معبدٌ وهو المهنوء بالقطران ، ومعناه راجع إلى الأول .

والعبادة مفارقة لدوام الطاعة ؛ لأنا نديم الطاعة للرسول ولسنا نعبده ، والعبادة غاية الخضوع ولا تستحق إلا بغاية الإنعام ، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى ، ويقال : هؤلاء عباد الله ، ولا يقال : عباد فلان إلا في القليل .

وقد جاء في القرآن : ﴿وَالصالحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] وإنما جاء كذلك لأنه وقع مع إمائكم فازدوج ، ويقال : عبيد الله ، وعباد الله أكثر ، وقال بعضهم : العباد جمع عبيد .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوحيد ؛ قال الله : ﴿اعْبُدُوا رَبكُمُ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١] أي : وحدوه ، وقوله : ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء آية : ٣٦] ، وقوله : ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاتقُوهُ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٦ ، نوح : ٣] كذا قيل ، ويجوز أن تكون العبادة هاهنا أداء الفرائض واجتناب المحارم .

الثاني : الطاعة ؛ قال الله : ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِن﴾ [سورة سبأ آية : ٤١] أي : يطيعون الشياطين ، وقال : ﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا الشيْطَانَ﴾ [سورة يس آية : ٦٠] وهم لم يعبدوا الشيطان ، وإنما هو كما نقول : فلان يعبد فلانا إذا كان شديد الطاعة له ، وما كان أيضا قصدهم طاعته ؛ ولكن لما وافق أفعالهم رضاه سماها طاعة له ؛ لأن الطاعة توفيق رضا المطاع .

---

(١) (ع ب د) : عَبَدْتُ اللهَ أَعْبُدُهُ عِبَادَةً وَهِيَ الإنْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ وَالْفَاعِلُ عَابِدٌ وَالْجَمْعُ عُبَّادٌ وَعَبَدَةٌ مِثْلُ كَافِرٍ وَكُفَّارٍ وَكَفَرَةٍ ثُمَّ أُسْتُعْمِلَ فِيمَنْ اتَّخَذَ إلَهًا غَيْرَ اللهِ وَتَقَرَّبَ إلَيْهِ فَقِيلَ عَابِدُ الْوَثَنِ وَالشَّمْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَعَبَّادٌ بِلَفْظِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِلْمُبَالَغَةِ اسْمُ رَجُلٍ وَمِنْهُ . [المصباح المنير :العين مع الباء] .

الثالث : السجود للأصنام وهي وإن سمتها العرب عبادة فليست بعبادة ، وهي على حسب ما سمت العرب ربا وإلها وليس هو على الحقيقة ، وقال : ﴿ مَا كَانُوا إِيانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة القصص آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ أَهَؤُلاءِ إِياكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة سبأ آية : ٤٠] فإن قيل : ما معنى قوله : ﴿ مَا كَانُوا إِيانَا يَعْبُدُونَ ﴾ وليس في الآخرة كذب ، قلنا : معناه إنا لم نكن نستحق العبادة ؛ فلم تكن عبادتهم على الحقيقة عبادة لنا ، كما تقول : لصاحبك ليس هذا القول قولك ، وإن كان قاله بمعنى أنه لا يليق بك ، وبمعنى أنك دون ما يقوله أيضا ، وقوله : ﴿ إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢ ، الإسراء : ٦٥] أضافهم إلى الله ، إضافة الخصوصية ، لأن الخلق كلهم عباده .

والإضافة على خمسة أوجه :

إضافة الخصوصية ؛ وهي مثل هذا ، ومثل قوله : ﴿ وَأَن الْمَسَاجِدَ لله ﴾ [سورة الجن آية : ١٨] .

وإضافة النسب ؛ وهي قولك : ابن فلان ، وبنت فلان .

وإضافة السبب ؛ وهو قوله : فلان شريك فلان وصديقه .

وإضافة التعريف ؛ وهو سرج الدابة ، ولجام الفرس ، وقميص الرجل .

وإضافة الملك ؛ مثل : دار زيد ، وصنعة عمرو .

العدوان

قد ذكر أصل هذا الحرف ، وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى العذاب ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١) [سورة البقرة آية : ١٩٣] أي : من انتهى منهم عن الكفر فلا عذاب عليه ؛ وإنما هو على من ظلم نفسه بإقامته على الكفر ، وسمي العذاب عدوانا لأنه مقابلة بالعدوان ، كما قال الشاعر :

جَزَيْنَا ذَوِي العُدْوَانِ بِالأمسِ مثلَه قَصَاصًا سوَاء جزوكَ النَّعْل بالنِعَلِ

ويجوز أن يكون سمي عذاب الآخرة عدوانا لمجاوزته حد العذاب المعهود .

الثاني : الظلمَ ؛ قال الله : ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، وقال : ﴿ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٨٥] .

والإثم في هذه المواضع يجوز أن يكون مثل العدوان مثل الإثم وإنما ذكر للتوكيد ، كما تقول : الغشم والظلم هذا قول .

وقول آخر : وهو أن الإثم يقتضي أنه يتتبع عليه ، وأصله في العربية التقصير . والعدوان يقتضي مجاوزة الحد ؛ فعطف أحدهما على الآخر مخالفة ما يقتضيه كل واحد منهما ولو كانا في المعنى سواء لم يجز عطف أحدهما على الآخر ، كما لا يجوز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو هو .

---

(١) قال الرازي : أما قوله تعالى : ﴿فَلاَ عدوان إِلاَّ عَلَى الظالمين﴾ ففيه وجهان الأول : فإن انتهوا فلا عدوان ، أي فلا قتل إلا على الذين لا ينتهون على الكفر فإنهم بإصرارهم على كفرهم ظالمون لأنفسهم على ما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

فإن قيل : لم سمي ذلك القتل عدواناً مع أنه في نفسه حق وصواب ؟

قلنا : لأن ذلك القتل جزاء العدوان فصح إطلاق اسم العدوان عليه كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاء سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مّثْلُهَا﴾ [الشورى : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُم﴾ [البقرة : ١٩٤] ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران : ٥٤] ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ الله مِنْهُمْ﴾ [التوبة : ٧٩] والثاني : إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين فنسلط عليكم من يعتدي عليكم . [مفاتيح الغيب :٣/١٤٩] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [سورة القصص آية : ٢٨] أي : لا اعتلال ولا حجة علي ، ويجوز أن يكون بمعنى إلي إذا قضيت ذلك لا أظلم فأكلف غيره .

العفو[1]

أصله الترك ، وعفا المنزل ؛ ترك حتى درس ، وقوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ؛ أي : ترك له الدم وصولح على الدية من أخيه ؛ يعني : من ولي الدم ولم يريد القاتل ، وشيء يعني : به الدم ؛ فعبر بشيء وهو نكرة عن كل معرفة ؛ والعرب تكنى بشيء عن كل معرفة لأنها على كل حال شيء ، وأنشد :

لَعَمْرِكَ لَو شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُــــهُ سواك وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعـــا

والاتباع : المطالبة بما صولح عليه القاتل من الدية ؛ أي : فليطالب ولي المقتول بذلك في رفق ، : ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] أي : وليود الجاني ما يود به من الدية أداء حسنا من غير مطل ولا تأخير ، : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] يعني : إجازته أخذ الدية وترك الدم ؛ فمن رضى بالدية ثم قتل فله عذاب أليم .

وقد أجمع المسلمون أن الدية إذا وجبت على قاتل العمد كانت من ماله دون مال العاقلة ، وكانت حالة لا يجوز تأخيرها ، وأن دية الخطأ على العاقلة ويلزمهم أداؤها في ثلاث سنين ؛ في كل سنة ثلث وعفا الله عنك ترك معاقبتك ، واستعمال الترك في الله مجاز .

والعفا : التراب ؛ لأنه متروك لوجوده بكل مكان ليس هو مما يؤخذ ويدخر ، ثم اشتق منه الكثرة ، فقيل : عفا الشيء ؛ إذا كثر كأنه صار كالتراب بكثرة ، ثم اشتق منه الكثرة حتى عفوا ، وعفاه يعفو إذا قصده وسأله ، ويجوز أن يكون معناه أنه أتاه تاركا لغيره .

والعفو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الفضل من المال ؛ قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٩] يعني : الفضل واليسر ، وذلك أنهم حضوا على الإنفاق في قوله : ﴿أَنْفِقُوا

---

(١) [عفو] : العفو : تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه تعفُو ، والله العَفُوُّ الغَفور . والعَفْوُ : أحَلُّ المالِ وأطيبُه . والعَفْوُ : المعروف . والعُفاةُ : طُلاّبُ المعروف ، وهم المُعْتَفُونَ . واعْتَفَيتُ فلاناً : طَلَبْتُ مَعروفَه .
والعافيةُ من الدَّوابِّ والطَّير : طُلاّب الرزقِ ، اسمٌ لهم جامع . [العين :عفو] .

مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٧] ، وقوله : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فسألوا عن القدر الذي تنفقون ، فقال : ما يفضل عنكم ويسهل عليكم إنفاقه تنفقونه ؛ وهو قليل لتنالوا به الكثير من الثواب .

الثاني : الترك ؛ وهو قوله تعالى : ﴿إِلا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِكَاحِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٨] . أي إلا أن يتركن لكم ما يجد لهن من وصف الصداق أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح يعني : الزوج ، وعفوه أن يعطي المهر كاملا وليس هو الولي ؛ لأنه ليس للولي أن يترك من مهر المرأة شيئا ، ومثله قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٧] ، وقوله : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] .

الثالث : العفو عن الذنب ؛ قال الله : ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة آية : ٤٣] وفي هذا دليل على أن الأنبياء يذنبون ؛ لأنه إذا لم يكن ذنب لم يكن عفو ولكن ذنوبهم صغائر .

العدل[1]

أصل العدل ؛ الاستقامة ، عدل الرجل إذا استقام حكمه ولم يمل ، وقيل : العدلان لأن كل واحد منهما يستقيم بالآخر ، والعدل المثل ؛ كان المثلين يستقيمان في الشبه أو الصفة ، والعدل لا يستعمل إلا في المدح ؛ لأن رجلا لو سوى بين رجلين في الظلم ، لم يقال : أنه عدل أو هو عادل ، وإذا قسم رئيس القوم السرقة بينهم بالتسوية لم يقل أنه عدل ؛ وسمي الله عدلا من أجل أن أفعاله تقع على طريقة مستقيمة ، والعدل : الفدية يرجع إلى هذا .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : المثل ؛ قال الله : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [سورة المائدة آية : ٩٥] أي : مثله ، قالوا : والعدل أيضا المثل ، ويجوز أن يكون سمي العدلان عدلين ؛ لأنهما مثلان ، والعدل والعدل : المثل من الجنس ، ومن غير الجنس ، كما أن المثل هو من الجنس وغير الجنس وليس العديل مثل ذلك ؛ لأن العدل أعم من العديل ، وما كان أعم فإنه أخص بالنكرة فهو للجنس وغير الجنس ، تقول : عمرو عدل زيد وعديله ، وعمرو عدل الأسد ، ولا يقال : عديل الأسد .

الثاني : الفدية ؛ قال الله : ﴿وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٨] أي : فدية ؛ وهو ما يكون بدل الشيء .

الثالث : خلاف الجور ؛ قال الله : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل آية : ٩٠] والإحسان داخل في العدل ، والعدل داخل في الإحسان ، ومع هذا فإن

---

(١) (ع د ل) : الْعَدْلُ الْقَصْدُ فِي الْأُمُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْجَوْرِ يُقَالُ عَدَلَ فِي أَمْرِهِ عَدْلًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَعَدَلَ عَلَى الْقَوْمِ عَدْلًا أَيْضًا وَمَعْدِلَةً بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا وَعَدَلَ عَنْ الطَّرِيقِ عُدُولًا مَالَ عَنْهُ وَانْصَرَفَ وَعَدَلَ عَدْلًا مِنْ بَابِ تَعِبَ جَارَ وَظَلَمَ وَعِدْلُ الشَّيْءِ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ مِنْ جِنْسِهِ أَوْ مِقْدَارِهِ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ وَالْعِدْلُ الَّذِي يُعَادِلُ فِي الْوَزْنِ وَالْقَدْرِ وَعَدْلُهُ بِالْفَتْحِ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ يُقَالُ عَدَلْتُ هَذَا بِهَذَا عَدْلًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ إذَا جَعَلْتُهُ مِثْلَهُ قَائِمًا مَقَامَهُ قَالَ تَعَالَى (﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾) وَهُوَ أَيْضًا الْفِدْيَةُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ﴾ وَالتَّعَادُلُ التَّسَاوِي وَعَدَّلْتُهُ تَعْدِيلًا فَاعْتَدَلَ سَوَّيْتُهُ فَاسْتَوَى وَمِنْهُ . [المصباح المنير :العين مع الدال] .

الفرق بينهما معروف ، وقد يعطف الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر ، فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ ، لا تقول : جاءني زيد وأبو عبد الله إذا كان زيد هو أبا عبد الله ، ولكن مثل قوله :

أَمَرتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرت بِـــــه فَقَدْ تَرَكتُكَ ذَا مَـــــالٍ وَذَا نَشَبِ

لأن المال إذا لم يفيد فإنما يعني : به الماشية أو الصامت والنشب : ما نشب من العقارات ، وكذلك قول الحطيئة :

وَهند أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأيُ والبُعْدُ

فالنأي يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ ، وأدنى ذلك يقال له نائي ، والبعد تحقيق الخروج والذهاب إلى الموضع السحيق ، والتقدير ؛ إني من دونها النائي الذي هو أول البعد ، والبعد الذي هو الغاية .

العهد[1]

العهد : وجدانك الشيء ، ومنه قيل : عهدته عهدا ، والعهد : اليمين ، ومنه : عليه عهد الله ، والعهد الوصية ، من قولهم : عهد إليه ، والعهد المطر ، والعهد : الأمر والوصية في قوله تعالى : ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٣] ومنه سمي عهد الأمير ؛ لأنه يؤمر فيه بما يعمل به ، والعهد : الضمان الذي يوجبه الضامن على نفسه ، والعهد : المودة ، وقيل : ليس لفلان عهد ؛ أي : مودة ، ويجوز أن يكون العهد هاهنا الحفاظ ، والعهد المنزل ، قال الراجز :

هَلْ يُعْرَفُ العَهْدُ المُحِيل أرسمه

والعهد : الكتاب يكتب بين قوم ، وتعهدت صنعتي : تفقدتها ، والعهد : الحفاظ في قوله صلى الله عليه وسلم : " حسن العهد من الإيمان وأصل الكلمة من الثبات "[2] .

وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الأمان ؛ قال الله : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدتِهِمْ﴾ [سورة التوبة آية : ٤] وذلك أن الله تعالى أمره نبذ العهد إلى من عرف منه الغدر ، في قوله : ﴿وَإِما تَخَافَن مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [سورة الأنفال آية : ٥٨] ويجوز أن يقال : أنه كان شارطهم أن يقرهم ما أقرهم الله ؛ فلما أمره بقطع العهد قطعه ثم استثنى قوما ثبتوا على العهد ، فقال :

---

(١) (ع هـ د) : (الْعَهْدُ) الْوَصِيَّةُ يُقَالُ عَهِدَ إلَيْهِ إذَا أَوْصَاهُ وَفِي حَدِيثِ سُوَيْد بن غَفَلَةَ عَهْدِي أَنْ لَا آخُذَ مِنْ رَاضِعِ شَيْئًا أَيْ فِيمَا كُتِبَ مِنْ الْعَهْدِ وَالْوَصِيَّةِ فَاخْتُصِرَ مجَازًا (وَالْعَهْدُ) الْعَقْدُ وَالْمِيثَاقُ (وَمِنْهُ) ذُو الْعَهْدِ لِلْحَرْبِيِّ يَدْخُلُ بِأَمَانٍ وَعَهِدَهُ بِمَكَانِ كَذَا لَقِيَهُ وَيُقَالُ مَتَى عَهْدُكَ بِفُلَانٍ أَيْ مَتَى عَهِدْتَهُ (وَمِنْهُ) مَتَى عَهْدُك بِالْخُفِّ أَيْ بِلُبْسِهِ يَعْنِي مَتَى لَبِسْتَهُ (وَتَعَهَّدَ الضَّيْعَةَ) وَتَعَاهَدَهَا أَتَاهَا وَأَصْلَحَهَا وَحَقِيقَتُهُ جَدَّدَ الْعَهْدَ بِهَا وَقَوْلُهُمْ عُهْدَتُهُ عَلَى فُلَانٍ فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَا أَدْرَكَ فِيهِ مِنْ دَرَكٍ فَإِصْلَاحُهُ عَلَيْهِ هَكَذَا عَنْ الْغُورِيِّ وَمِثْله عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ بَرِئْتُ إلَيْكَ مِنْ عُهْدَةِ هَذَا الْعَبْدِ أَيْ مِمَّا أَدْرَكْت فِيهِ مِنْ عَيْبٍ كَانَ مَعْهُودًا عِنْدِي وَعَنْ الطَّحَاوِيِّ أَنَّهَا مِنْ الْعَهْدِ بِمَعْنَى الْعَقْدِ وَالْوَصِيَّةِ . [المغرب :العين مع الهاء] .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ج١/ ١٥ ، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣) ، وابن الأعرابي في معجمه (٧٧٤) .

﴿إلا الذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة آية : ٤] إلى أن قال : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدتِهِمْ﴾ .

قال ابن عباس : هم بنوا ضمرة من كنانة ، والمدة تسعة أشهر ، وكان أمر عليا ؛ فنادى من كان بينه وبين رسول الله عهد فأحله إلى أربعة أشهر ، فقيل : العهد مرفوع للأمان من القتال على غرة ؛ فإذا أعلمهم رفعة فهو جائز ، وسواء خاف غدرهم ولم يخف ، وليس ذلك غدرا ، وإنما الغدر أن يأتيهم بعد الأمان وهم غازون ؛ ولذلك قال الكوفيون : يجوز للإمام أن يهادن العدو إذا لم يكن بالمسلمين قوة على قتالهم ؛ فإن قووا بعد ذلك كان لهم أن ينبذ إليهم ويقاتلهم .

الثاني : اليمين ؛ قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، والشاهد قوله تعالى : ﴿وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] .

الثالث : الأمانة والنبوة ؛ قال الله : ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظالِمِينَ﴾ [سورة البقرة آية : ١٢٤] .

الرابع : الوصية ؛ قال الله : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بني آدَمَ﴾ [سورة يس آية : ٦٠] ، وقوله : ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٨٣] وقد تقدم .

الخامس : الضمان ؛ قال الله : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] أي : أوفوا بما ضمنتم لي من الإيمان ، أوف لكم بما ضمنت لكم من الثواب .

العرض

أصله الظهور ، ومنه عرضت عليه الشيء ؛ إذا أظهرته له ، والمعرض ما تعرض فيه الجارية ؛ أي : تظهر ، ولفلان عارضة جيدة ، والعراضة : العطية ترجع إلى ذلك ، وأعرض الرجل عن الرجل : ولاه عرضه ؛ أي : جانبه وأعرض له أمكنة من عرضه ، والعرض خلاف الطول ، وإذا استعمل العرض فيما لا يكون عريضا على الحقيقة ؛ فإنما يراد به التمام ، مثل قول الشاعر :

فِي المَجْدِ صَارَ إِلَيكَ العَرْضُ وَالطُّولُ

أي صار إليك المجد بتمامه ، وقوله : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾(١) [سورة فصلت آية : ٥١] أي : تام ، والعرض : ما يظهر من منافع الدنيا ، والعرض ما يحل في الجسم ولا يقوم بنفسه وليس له بقاء الجواهر .

واشتق له هذا الاسم من عارض السحاب وهو جسم ؛ فسموا به ما ليس بجسم لما اجتمعا في قلة اللبث ، ومثال هذه التسمية تسمية الملك ملكا ، وإن لم يكن رسولا على أن أصل هذا الاسم من الألوكة ؛ وهي الرسالة ، ولو كان العرض عرضا لأنه ليس بجسم ولا جوهر لكان الله عرضا ؛ لأنه ليس بجسم ولا جوهر ، وقولهم : عرض في كلامه ، معناه أنه ذهب فيه عرضا ولم يستقم فيه ، والتعريض : هو ترك الإفصاح ، يقال : عرض في الجبل إذا أخذ يمينا وشمالا ولم يستقم في مصعده .

والعرض في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الكثرة ؛ قال تعالى : ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [سورة فصلت آية : ٥١] أي : كثيرة ، ولم يقل : طويل ؛ لأن العرض أدل على الطول والتمام .

---

(١) قال الشوكاني : ﴿فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ﴾ أي : كثير ، والعرب تستعمل الطول ، والعرض في الكثرة مجازاً ، يقال : أطال فلان في الكلام ، وأعرض في الدعاء : إذا أكثر ، والمعنى : أنه إذا مسه الشرّ تضرّع إلى الله ، واستغاث به أن يكشف عنه ما نزل به ، واستكثر من ذلك ، فذكره في الشدّة ، ونسيه في الرخاء ، واستغاث به عند نزول النقمة ، وتركه عند حصول النعمة ، وهذا صنيع الكافرين ، ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين [فتح القدير :٦/ ٣٦٤] .

الثاني : التهيئة ؛ قال : ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [سورة الكهف آية : ١٠٠] أي : فهيأناها لهم ، ويجوز أن يكون المراد إنا أظهرناها لهم .

الثالث : بمعنى الجمع ؛ قال الله : ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبكَ صَفا﴾ [سورة الكهف آية : ٤٨] أي : جمعوا للحساب بحيث أمر الله ، وقيل : معناه أنهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم .

وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا ، وليس المعنى أنهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له ، ولكن المعنى أنهم ظهروا من قبورهم لأمر الله ؛ فعبر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب والوقوف في مواقفه ؛ وهو من قول الناس : عرض فلان على الأمير .

الرابع : قوله تعالى : ﴿إِنا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [سورة الأحزاب آية : ٧٢] وهو لفظ مجاز والكلام فيه كثير ، وتلخيص معناه عندي ؛ إنا لو جعلنا هذه الأشياء بمنزلة من تكلف ، ثم كلفناها لإطاعتنا وكلفنا الإنسان فعصانا .

والأمانة هاهنا الطاعة ، والإنسان العاصي من الناس خاصة ، وقال الحسن : يعني : أن الكافر والمنافق حملا الأمانة فخانا ، وتصديق ذلك قوله : ﴿لِيُعَذبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٧٣] .

الخامس : السعة ؛ قال : ﴿وَجَنةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الحديد آية : ٢١] أي : سعتها كسعتها .

العين

أصلها عين الحيوان ، ثم كثر الاستعمال بها حتى تصرفت على خمسين وجها أفردتها في كتاب .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : عين الإنسان ؛ وهو قوله تعالى : ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾(١) [سورة المائدة آية : ٤٥] ، وذكر تعالى أنه حكم بهذا الحكم على من قبلنا ، وشرائع من قبل ثابتة علينا إلى أن يرد

---

(١) قال ابن فارس : العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عُضوٍ به يُبْصَر ويُنظَر، ثم يشتقُّ منه، والأصلُ في جميعه ما ذكرنا.

قال الخليل: العين النّاظرة لكلِّ ذي بَصَر. والعين تجمع على أعيُن وعُيون وأعيان. قال الشاعر:

فقد أرُوعُ قلوبَ الغانياتِ به *** حتّى يَمِلْنَ بأجيادٍ وأعيانِ

وقال:

* فقد قَرَّ أعيانَ الشَّوامِتِ أنّهم *

وربّما جمعوا أعيُنا على أعيناتٍ. قال:

* بأعيُنات لم يخالطها قَذَى *

وعَيْنُ القَلْب مثَل على معنى التشبيه. ومن أمثال العرب في العين، قولهم: "ولا أفعَلُه ما حَمَلَتْ عيني الماء"، أي لا أفعله أبداً. ويقولون: "عَينٌ بها كلُّ داء" للكثير العيوب. ويقال: رجلٌ شديد جَفْنِ العين، إذا كان صبوراً على السَّهَر. ويقال: عِنْتُ الرّجلَ، إذا أصبتَه بعينك، فأنا أعينُه عَيْنا، وهو مَعْيون. قال:

قد كان قومُك يحسبونك [سيّداً *** وإخال أنّكَ] سيّدٌ مَعيونُ

ورجلٌ عَيُونٌ ومِعيانٌ : خبيث العين. والعائن: الذي يَعِين، ورأيت الشَّيء عِياناً، أي معايَنة. ويقولون: لقيتُه عَيْنَ عُنّةٍ، أي عِياناً. وصنعت ذاك عَمْدَ عَيْنٍ، إذا تعمّدتَه. والأصل فيه العين الناظرة، أي إنّه صنع ذلك بعينِ كلِّ مَن رآه. وهو عَبْدُ عينٍ، أي يخدُم ما دام مولاه يراه. ويقال للأمر يَضِحُ: "بَيّنَ الصُّبحُ لذي عَيْنَيْن".

ومن الباب العين: الذي تبعثُه يتجسَّس الخبرَ، كأنّه شيءٌ تَرَى به ما يَغِيب عنك. ويقال: رأيتُهم أدنى عائنةٍ، أي قَبْلَ كلِّ أحدٍ، يريد –والله أعلم– قبل كلِّ نَفْسٍ ناظرة. ويقال: اذهَبْ فاعتَنْ لنا، أي انظُرْ. ويقال: ما بها عَيَنٌ، متحركة الياء، تريد أحداً له عين، فحرّكت الياء فرقاً. قال:

* ولا عَيَناً إلاّ نَعَاماً مشمّراً *

فأمّا قولهم: اعتَانَ لنا منزلاً، أي ارتادَه، فإنّهم لم يفسّروه. والمعنى أنّه نظر إلى المنازل بعينه ثم اختار.

ومن الباب العين الجاريةُ النّابعة من عيون الماء، وإنّما سمّيت عيناً تشبيهاً لها بالعين النّاظرةِ لصفائها ومائها.

ويقال: قد عانَت الصّخرةُ، وذلك إذا كانَ بها صَدعٌ يخرج منه الماء. ويقال: حَفَر فأعْيَن وأعان.

ومن الباب العين: السَّحاب ما جاءَ من ناحية القِبلة، وهذا مشبَّه بمشبَّه، لأنّه شُبِّه بعين الماء التي شبِّهت بعين الإنسان. يقولون: إذا نشأ السَّحاب من قِبَل العين فلا يكاد يُخلِف.

نسخها ؛ والشاهد قوله : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالِمُونَ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٥] فدل على ثبوت الحكم في وقت نزول هذه الآية من وجهين :

أحدهما : أنه ثبت أن ذلك مما أنزل الله ولم يفرق بين نبي من الأزمان .

والثاني : أنه معلوم أنهم استحقوا سمة الظلم والفسوق عند نزول هذه الآية بتركهم الحكم بها ، وقوله : ﴿الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ عند أصحابنا معناه ؛ أن العين إذا ضربت فذهب ضوئها .

قال ابن الأعرابيّ: يقال هذا مطَر العين، ولا يقال مُطِرنا بالعَين. وعَين الشَّمس مشبه بعين الإنسان. قال الخليل: عين الشَّمس: صَيْخَدُها المستدير .

ومن الباب ماءٌ عائن، أي سائل. ومن الباب عَيْنُ السِّقاء. قال الخليل: يقال للسِّقاء إذا بَلِي ورقَّ موضعٌ منه: قد تعيَّن. وهذا أيضاً من العَين، لأنه إذا رقّ قَرُب من التخرُّق فصار السِّقاء كأنّه يُنظر به. وأنشد ثعلب:

قالت سُلَيمَى قولةً لِرِيدِها *** ما لابنِ عمِّي صادراً من شِيدِها

بذات لَوثٍ عينُها في جيدِها

أراد قربةً قد تعيَّنت في جِيدها. ويقال سِقاء عَيَّنٌ، إذا كانت فيه كالعُيون، وهو الذي قد ذكرناه. وأنشد:

* ما بالُ عيني كالشَّعيب العَيَّنِ *

وقالوا في قول الطِرِمَّاح:

فأَخْضَلَ منها كلَّ بالٍ وعَيِّنٍ *** وجَفَّ الرَّوايا بالمَلاَ المتباطنِ

إنّ العيِّن الجديد بلغة طيٍّ. وهذا عندنا مما لا معنَى له، إنّما العيِّن الذي به عُيون، وهي التي ذكرناها من عيون السِّقاء. وإنّما غَلِط القومُ لأنّهم رأوا بَالياً وعيّناً، فذهبوا إلى أنّ الشاعر أراد كلَّ جديدٍ وبال. وهذا خطأ، لأنّ البالي الذي بلِيَ، والعيِّن: الذي يكون به عُيون. وقد تكون القربةُ الجديدُ ذاتَ عُيونٍ لعيبٍ في الجلد. والدَّليل على ما قلناه قولُ القطاميّ:

ولكنّ الأديم إذا تفرَّى *** بِلِيَ وتعيَّناً غلَبَ الصَّناعا

ومن باقي كلامهم في العَين العِينُ: البَقَر، وتوصف البقرة بسَعَة العين فيقال: بقرة عيناء. والرَّجُل أعين. قال الخليل: ولا يقال ثورٌ أعْين. وقال غيره: يقال ثورٌ أعين. قال ذو الرّمَّة:

رفيقُ أعْيَنَ ذَيَّالٍ تشبِّهه *** فَحلَ الهِجانِ تنحَّى غيرَ مخلوجِ

قال الخليل: الأعيَن: اسمُ الثور، [ويقال] مُعَيَّنٌ أيضاً. قال:

ومعيَّناً يحوِي الصُّوَار كأنّه *** متخمِّط قَطِمٌ إذا ما بَرْبَرا

معجم مقاييس اللغة مادة (ع ي ن)

وقال القاضي أبو يعلى : وقوله : العين بالعين ، ليس المراد قلع العين بالعين ، لتَعذّر استيفاء المماثلة ، لأنا لا نقف على الحدّ الذي يجب قلعه ، وإنما يجب فيها ذهب ضوؤها وهي قائمةٌ ، وصفة ذلك أن تُشدَّ عين القالع ، وتُحمى مرآة ، فتقدّم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها . [زاد المسير :٢/ ٢١٦] .

والقصاص في ذلك أن تحمي مرآة وتدني إلى العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوئها ، وليس هو أن تقلع العين ، وليس في قلع العين عندهم قصاص ؛ لأن استيفاء القصاص في ذلك غير ممكن ؛ إذ لا يوقف على الحد الذي يجب أن يقلع منه ، وكذلك كل ما لا يوقف على ذلك منه .

الثاني : العين بمعنى الحفظ ؛ وهو قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [سورة طه آية : ٣٩] أي : لتربي وأنا حافظ لك ، وذلك أن من له بالشيء عناية تجعله نصب عينه ناظرا إليه ؛ فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [سورة القمر آية : ١٤] أي : تجري من أمنا وحفظ ، ومنه قول امرئ القيس :

وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ